الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وِزَارَةُ التَّعلِيمِ العَالِي وَالبَحثِ العِلمِيّ

جامعة وهران 2 أحمد بن حمد

كلية: علم الاجتماع

قسم : الفلسفة

تخصص : فلسفة الثقافة والجمال

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

هاجس الجمال في الطب المعاصر
طب التجميل "نموذجا"

إعداد الطالب:

العيادي خالد

اشراف:

أ.د: البخاري حمانه

لجنة المناقشة:

أ.د – بهادي منير	جامعة وهران 2	رئيسا
أ.د – البخاري حمانه	جامعة وهران 2	مشرفا
أ.د– دراز شهرزاد	جامعة وهران 2	مناقشا
أ.د– أنور حمادة	جامعة وهران 2	مناقشا

السنــة الجامعيــة :

2015 * 2014

شكر وعرفان

إنّ هذا البحث ثمرة متواضعة تضافرت عدّة جهود في إنتاجها . وفي مقدمتها أستاذي الفاضل الدكتور " البخاري حمانه " ، الذّي كان نعم القدوة ونعم الموجه ، والذّي لم يبخل بإرشاداته ونصائحه.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ " بهادي منير" الذي قبل رئاسة لجنة المناقشة "والذي استفت منه كثيرا طيلة مساري الدراسي وقد أمدني بكثير من النصائح والإرشادات مما سهل علي ولوج عالم الفلسفة.

و أتقدم بالتحية والشكر الجزيل إلى الأساتذة الكرام: أ.د– دراز شهرزاد و أ.د – أنور حمادة والذّين قبلوا الإشراف على مناقشة رسالتي.

فشكرا لكم جميعا.

إهداء

لكل طالب علم

ولكل أساتذتي وعائلتي

وأصدقائي وطلابي ومرضاي

مقدمة

مقدمة :

من المميزات الهامة للإنسان حاجته الحيوية و الفطرية للبقاء ضمن وسطه الاجتماعي مقبولا. وهذا ما جعله يسعى دائما لتحسين مظهره. و تحول جمال الجسد عند البعض إلى هاجس و عند المرأة خاصة. و بغض النظر إذا كان السعي نحو تحسين صورة الجسد نابع عن نقص واقعي أو مزعوم ومع التطور الكبير الذي تشهده العلوم الطبية أصبحت الجراحة التجميلية تشهد إقبالا متزايدا ملفتا للانتباه وخاصة بعد أن توسع توجهها من علاج التشوهات والعيوب الخلقية إلى خلق ما يعرف بأنماط الجمال. فأصبحت المرأة التي لا ترضى عن جزء من جسدها الحل في مشرط الجراحة فتراها تكابد ألام الجراحة و مضاعفاتها.

وفي كثير من الأحيان توجد لدى طالبات جراحة التجميل عيوبا وهمية (غير موضوعية بالنسبة للآخر) تكون سببا لانفعالات عاطفية مفرطة لا تتناسب مع ما يظهر في الواقع ليحولن بذلك رغبتهن لاستعجال طبي واضعات أمام مشرط الجراحة جزء من أجسادهن حكمن عليه بعدم الانسجام والتناسق. (رقية نجادي. النرجسية و الجراحة التجميلية عند المرأة. أطروحة ماجستير). وأحيانا أخرى يوجد من النساء من تلجا إلى أطباء التجميل و بين أيديهن أو في أذهانهن صور لنجمات و فنانات مشهورات، آملين من جراحة التجميل أن تمكنهن من الخروج بملامح ومقاييس اقرب لذلك الجسد المثالي. لا شك أن رغبتهن هذه تنطوي على رفض و عدم تقبل لصورتهن الجسدية وبحث دائم لبلوغ الكمال.

كثيرة هي الأسباب الاجتماعية التي أدت إلى تسارع التعاطي مع عمليات التجميل منها ميل الناس في العصر الحديث إلى التمايز من جميع الجوانب بما فيها المظهر والشكل الجمالي، وانفتاح الفئات الاجتماعية على بعضها البعض ومن ثم زيادة النزعة نحو التقليد والمحاكاة، بالإضافة إلى ارتفاع

المستوى المادي أو الاقتصادي الذي شجع على أنواع مستحدثة من الإنفاق لم تكن متاحة خاصة العناية الشديدة بالذات.

و هناك خصوصية كبيرة في الإقبال على عمليات التجميل من طرف الفئات المختلفة من المجتمع، ومن المعروف أن الذوق العام للشخص يرتبط بالمرحلة العمرية، وأن لكل مرحلة عمرية اهتماماتها بالشكل من جانب معين، فالفتيات صغيرات السن لن يلجأن لعمليات الشفط أو تكبير مناطق في جسدهن لأنهن مازلن في مرحلة النضارة ويتجهن إلى تجميل ملامح الوجه، كالعينين أو الأنف أو الخدود، أما النساء الأكبر سنا فتبدأ معاناتهن مع الوزن الزائد والترهل.

أما العامل الثقافي فقد حددته و بشكل كبير وسائل الإعلام و مصادر التكنولوجيا المختلفة في تحويل الجراحة من ميدان طبي إلى سوق استهلاكية تخضع طالبيها لقانون العرض والطلب والمنافسة وقلبت بذلك الموازين فتحول ما كان ثانوي وكمالي إلى أساسي و ضروري (الأمر الذي يبعث على القلق حتى أصبح في بعض المجتمعات اختيار انف جديد مثلا كاختيار ثوب جديد). هذا لأن الحمى الإعلانية والإعلامية بالغت في تهوين الجراحة و تسهيلها والتقليل من مخاطرها. و ظهرت أنماط من الجمال لم تكن موجودة في بعض المجتمعات.

من خلال ما تقدم يتضح أن هناك تعاطي مختلف من مسالة جمال الجسد، و هذا الاختلاف نابع من وجود عوامل متعددة نفسية، اجتماعية و ثقافية تدفع بطالبات عمليات التجميل و خاصة تلك اللواتي ليس لديهن مسوغ موضوعي يدفعهن لمثل هذه العمليات.

إن لجوء المرأة لعملية تجميل محدودة لتلافي عيب في الوزن أو الشكل، أمر طبيعي، أما تكرار هذه العمليات فلن تكون له نهاية، لأن المرأة في هذه الحالة لن تكون أبدا راضية عن مظهر هذا الجزء أو ذاك من جسدها، وستقع في دائرة مغلقة لن يكون سهلا الخروج منها.

على هذا الأساس قد اختلفت المقاربات في تناول هذا الموضوع سواء من الناحية الأنتروبولوجية والنفسية إلا أن المقاربة الفلسفية في حدود اطلاعنا محدودة بل قد تكاد تكون معدومة خاصة على الساحة العربية لهذا حاولنا مقاربة هذا الموضوع من وجهات مختلفة قصد تحقيق رؤية شمولية تأسيسا لدراسة فلسفية.

و بذلك كان السؤال الأساسي لإشكالية هذا البحث يتمحور حول مدى كون هاجس الجمال لدى المرأة له مبررات موضوعية في جميع الحالات يدفعها للجوء لعمليات التجميل. إذا يمكن طرح التساؤل التالي: هل لجوء المرأة للعمليات الجراحية التجميلية له دوافع و مبررات موضوعية في جميع الحالات؟

و في اعتقادنا يمكن افتراض أن اغلب النساء اللائي يلجئن لعمليات التجميل يكون بدوافع نفسية، ثقافية و اجتماعية أكثر منه ضرورة موضوعية.

تتكون هذه الدراسة من فصول أربعة إضافة إلى مقدمة و خاتمة و قائمة بالمراجع الأجنبية والعربية. لقد تناول الفصل الأول مسالة الجسد في الخطاب الفلسفي، أما الفصل الثاني فقد تضمن مفهوم الجسد في علم الاجتماع و التحليل النفسي و خصصنا الفصل الثالث للمضامين العلمية والتشريعية لعمليات التجميل أما الفصل الرابع فخصصناه لمقاربة بعض الحالات التي لجأت لعمليات التجميل. و في الأخير قمنا باستخلاص النتائج المتحصل عليها من وجهات نضر مختلفة والقيام باستنتاج عام للوقوف على الإشكالية التي انطلقنا منها.

لقد اعتمدنا في هده الأطروحة المنهج التحليلي و النقدي. أما الصعوبات التي واجهتنا في إعداد هذا البحث تتمثل أساسا في عدم وجود دراسات سابقة تقارب هذا الموضوع فلسفيا وبالتالي كان لزاما علينا أن نتطرق إلى الجوانب العلمية المحضة لتبيان مفهوم طب التجميل، أنواعه، مجالاته ومضاعفاته و أيضا بحث مفهومي الجسد و الجمال من النواحي الفلسفية،

الأنثروبولوجية، الاجتماعية، الثقافية والنفسية. و تحسبا لتشعب الموضوع قمنا بحصر البحث في مجال جراحة التجميل عند المرأة نضرا لان المرأة و مند القدم تهتم أكثر من الرجل بجمال الجسد و الزينة وتعاطيها مع جراحة التجميل يفوق بكثير تعاطي الرجل معها.

مفهوم جراحة التجميل:

نشير هنا وبشكل مختصر جدا لمفهوم جراحة التجميل و نظرا لوجود كثير من البس و التداخل في إبراز معنى لهذا المفهوم قمنا بعملية شرح و تحليل في الفصل الثالث.

يعرف المختصون جراحة التجميل بأنها: ((جراحة تجري لتحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة، أو وظيفته إذا ما طرأ عليه نقص، أو تلف، أو تشوه))[1].

وهي مصطلح لعلم خاص والمعنى الذي يدل عليه الاسم العربي هو تغيير مظهر ما للأجمل، حتى قيل: إن الغرض من جراحة التجميل هو إضافة لمسة جمال على الوجه، أو إخفاء بعض العيوب، أو آثار تقدم السن التي تعتريه، وبالتالي تحقق ما يصبو إليه الباحثون عن الأناقة، والجاذبية، والشكل المقبول.

وطالما هناك فن، وعلم مخصوص، فكيف أطلق عليه (جراحة تجميل)، وما مدى دقة دلالة هذا المصطلح بالعربية على حقيقة هذا الفن؟

تأتي كلمة التجميل كترجمة للفظ اليوناني (Plastos)، والتي ظهرت في المؤلفات الألمانية أولاً، ثم الإنجليزية والفرنسية والتي تعنى شكلاً، أو قالباً.

وقد أضيف إلى الاسم كلمة بمعنى (إعادة البناء) في اللغات الأجنبية مؤخراً، وفي العربية ظهرت كلمات (الإصلاح)، (والتقويم)، (والترميم) غير أن التباين بين الاسم والحقيقة يبقى كبيراً[2].

[1]- الموسوعة الطبية الحديثة، 454/3 .

[2]- محمد النتشة، المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية، ط1، بريطانيا: مجلة الحكمة، 1422هـ/2001م، ص 238، 239 .

تحديد المصطلحات:

في معجم المعاني الجامع:

هاجس obsession

هاجَسَ: (فعل)

هاجسَ يهاجس ، مُهاجَسةً ، فهو مُهاجِس، والمفعول مُهاجَس هاجس فلانٌ فلانًا : سارَّهُ، هامَسَهُ، ناجاه.

هاجِس: (اسم)

الجمع : هَواجِسُ ، الهَاجِسُ : الخاطر ، كل ما يتصوّره الفكر ، إحساس.

اسم فاعل من هجَسَ / هجَسَ في اِشْتَدَّتْ بِهِ الْهَوَاجِسُ : مَا يَخْطُرُ مِنْ أَفْكَارٍ أَوْ صُوَرٍ بِبَالِ الْإِنْسَانِ نَتِيجَةَ قَلَقٍ أَوْحَيْرَةٍ أَوْ هَمٍّ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ شَيْءٍ مَّا. اِسْتَبَدَّ بِهِ هَاجِسُ اللَّيْلِ : الْخَاطِرُ الَّذِي يَجُولُ بِبالِ الْمَرْءِ قَبْلَ النَّوْمِ وَبِالأَخَصِّ عِنْدَمَا يَكُونُ بِهِ قَلَقٌ أَوْ حَيْرَةٌ.

الجمال Esthétique، beauté

مصدر جَمُلَ، جَمِلَ جَمَالُهَا فَاتِنٌ : حُسْنُهَا ، بَهَاؤُهَا.

الجَمَال : (عند الفلاسفة) : صِفَةٌ تُلْحَظُ في الأَشياء، وتبعث في النُّفوس سرورًا أو إحساسًا بالانتظام والتّناغم، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تُنسب إليها أحكام القيم : الجمال والحقّ والخير ، عكسه القبح. الجمال بلا طيبة لا يساوي شيئًا ، إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ [حديث].

علم الجمال : (الفلسفة والتصوُّف) بابٌ من أبواب الفلسفة يبحث في الجمال ومقاييسه ونظريّاته

مذهب الجمال : (الفلسفة والتصوُّف) اتِّجاه يُعلي من شأن الجميل ، ويجعل من قيم الجمال أعلى قيم الحياة ، ويطلب الجميل لذاته لا لمنفعته .

الطب La médecine

طَبَّ: (فعل)

طَبَّ طبَبْتُ، يَطُبّ، اطْبُبْ / طُبّ، طبًّا، فهو طابّ وطبيب، والمفعول مَطْبوب.

طَبَّ الطَّبِيبُ الْمَرِيضَ : دَاوَاهُ ، عَالجَهُ طَبَّ لَهُ أَوْ لِدَائِهِ. طَبَّ النَّاسَ : سَحَرَهُمْ طَبَّ الصَّانِعُ : مَهَرَ، حَذَقَ . طَبَّ به : ترفَّق وتلطَّف. طَبَّ الشيءَ : أَصلَحَهُ وأَحكمَهُ.

المعاصر contemporain

مُعاصر: (اسم)

فاعل مِن عَاصَرَ.

كَاتِبٌ مُعَاصِرٌ : مَنْ هُوَ فِي عَصْرِكَ وَزَمَانِكَ.

حَدَثٌ مُعَاصِرٌ : مَا حَدَثَ فِي عَصْرِكَ وَزَمَانِكَ.

الجراحة La chirurgie

جِراحة: (اسم)

الجمع : جرائح ، جمع جِراحات. الجِرَاحَةُ : الجُرْحُ. الجِرَاحَةُ : صنعة الجرّاح .

الجِرَاحَةُ : فرعٌ من الطِّبِّ يكون العلاج فيه كله أَو بعضه قائماً على إجراء عمليات يدوية مِبْضعية .

الجِرَاحَةُ : شقّ في البدن . هي فرع من الطِّب يكون العلاج فيه كلّه أو بعضه قائمًا على إجراء عمليّات جراحيّة.

جراحة التجميل La chirurgie esthétique

جراحة تجميل / جراحة تجميليّة : جراحة تُجمِّل أشكال الوجه أو الجسم ، وتعمل على إعادة بناء وإصلاح بعض أجزاء الجسم عن طريق نقل الأنسجة خاصّة.

الفصل الأول

الجسد في الخطاب الفلسفي

مهيد:

لقد شكلت مسألة الحسن والقبح قاعدة لكثير من المباحث العقائدية و الكلامية. في هذا الإطار يوجد اتجاهين أساسيين، الاتجاه الأول يعتبر أنهما (الحسن والقبح) عقليان، و أما الثاني فيعتبرهما تشريعيان.

و طرحت هذه القضية أيضا في المجالات الفكرية و الفلسفية التي تبنتها الحضارات الإنسانية منذ النشوء الأول. و لما كان الجميع حاول تفسيرهما من موقفه، فان التحليل الذي ألزم الجميع بشكل أو بآخر هو أن العقل هو الذي يحدد مفهومي الحسن والقبح لارتباط القضية بالنظر والإحساس والفكر.

إن الوجود وما يتعلق به يمثل حالة نسبية، فمفهوم الحسن والقبح يقع أيضا في دائرة النسبي في هذا المجال. **فما يكون حسناً عند شعب أو جماعة بشرية ما، قد يكون قبيحاً في غيرها، وهنا يجب أن نلاحظ أن ثمة معايير عامة في تحديد وتبيان الحسن والقبح تنطبق على الجميع، وثمة معايير خاصة تنطلق من الرؤية البيئية لكل حال وزمان ومكان.**

فمثلا في الديانات الوثنية والطوطمية ثمة تركيز على الجسد في التعبير عن القوة والجمال والتكامل مع الوجود، مما اوجد الكثير من الأفكار التي تحولت بمرور الزمن إلى مفهوم عبادة الجسد كما تصوره لنا الحضارات القديمة التي قامت في أواسط وجنوب شرق آسيا وخاصة الحضارات الهندية التي سبقت الهندوسية و البراهماتية والبوذية، حيث يصير الجسد محلا للعبادة والتقديس لدى طوائف من هذه الديانات.

لا يوجد نموذج أوحد للجمال؛ فالجمال ليس سلعة وليس ذوقًا استهلاكيًا ليتم إخضاعه لقوانين العولمة؛ فالمقاييس الجمالية متغيرة ومختلفة بتغير المجتمعات والثقافات والمناخات، ولو نظرنا إلى أوروبا

ذاتها لوجدنا أن مقاييس جمال المرأة عند الرومان كانت تكرس للبشرة البيضاء والبدانة؛ وهو ما يرفضه الإيطاليون حاليًا.

وقد تنبه أفلاطون منذ زمن بعيد إلى فكرة تنوع الجمالات، والتفت بعض أطباء التجميل في عصرنا إلى أن التناسق هو سر الجمال الجسدي و أن أي عملية تجميل لا تحافظ على هذا التناسق ولا تحترم الملامح الخاصة لشخص قد تؤدي إلى نتائج غير مرضية. و في المقابل يوجد من الأطباء من يقوم بعملية تنميط لمسالة الجمال، وأوجد هؤلاء قوانينهم الخاصة؛ فهناك قانون الأثلاث الذي يرى أن أبعادًا ونسبًا معينة تخلق تناغمًا في ملامح الوجه، وقانون الأخماس الذي يوضح أن قاعدة الأنف تكون متناسبة مع المسافة بين العينين في الوجه الجميل. وقديمًا قال الفنان **ليوناردو دافنشي**: «**إن مستوى سطح الجبهة العمودي يفضل أن يتناسب مع الشفة السفلى والذقن** » .

ورغم أن التناغم من أهم سمات الجمال، فإننا نجد كثيرًا من النساء يلهثن وراء ما لا يناسبهن من ألوان للعيون وللشعر و في كثير من الأحيان بدون مبرر موضوعي؛ باعتباره سمت الحسن الوحيد، ويرهقن أنفسهن بما لا يقدرن عليه من أساليب شديدة من الجراحة التجميلية أو تقنيات الحمية لبلوغ المرتجى مما قد يؤدي أحيانا إلى مضاعفات خطيرة.

1. الجسد في الخطاب الفلسفي اليوناني:

لا يمكن تعريف فلسفة الجسد ببساطة، فهي حمل ثقيل على امتداد التاريخ الطويل، فقد بحث الإنسان بشكل دائم عن أسرار هذا الجسد سواء الذي يمتلكه، أو كل جسد آخر يحيط به. لقد تباينت آراء الفلاسفة الرواد في اليونان القديمة حول طبيعة العلاقة بين النفس والجسد، فأفلاطون في محاورته لفايدروس حول مسألة فحص النفس في معرض مناقشة عشق الجمال من خلال عشق الجميل، يؤكد أن النفس غير فانية وذلك لأنها ذاتية الحركة، ويرى أن كل جسم يستقبل الحركة من الخارج، خال من وجود النفس، وكل ما يتحرك بذاته هو مصدر حركة كل متحرك آخر ومبدأه، وبالتالي فإن النفس لا تخضع للكون ولا للفساد، ولتقريبنا من جوهر النفس نرجع إلى كتاب أفلاطون –Phèdre– وهو يتحدث عن الأنفس الثلاث من خلال مثال السائق الماهر الذي يقود عربة بفرسين : فرس أسود وفرس أبيض، يعتبر أفلاطون السائق بمثابة النفس العاقلة ذات الطبيعة السماوية فينا، في حين أن الفرسين يمثلان النفسين الميتتين، أما الفرس الأبيض فهو التيموس Le thumos نفس تستقر في القلب تمكن الإنسان من الدفاع وتضمن إرادة الحياة، وأما الفرس الأسود فيمثل الإبيتوميا l'épitumia ، إنها نفس مرتبطة بالجسد وشهواته الأرضية السفلى، شهوات الأكل والشرب والجنس، نفس متهورة تقود في حال انفلاتها عن العربة إلى التيه والفقدان، إن النفس العاقلة هنا عليها أن تقود العربة بحكمة حتى تضمن الوجود المتوازن في المسير أمام تهوّر الجسد الذي يهدّد بالفناء والفقدان. هذا التحليل يرى في الجسد رؤية الدونية في مقابل تعالي وسماوية الروح، رؤية الفناء في مقابل رؤية الخلود، فالروح جوهر خالص، واللذة الحسية تحط الإنسان نحو الأسفل، نحو التدنيس والخطيئة التي تتصل بالجسد.

وتهدف النفس في تواجدها بالأرض إلى استعادة ريشها للصعود إلى السماء. وتمثل محاورة فيدون الأفلاطونية بيانا نظريا يؤسس لمشروعية إقصاء الجسد من فعل التفلسف ما دامت

الفلسفة كما يقدمها أفلاطون على لسان سقراط تخليا عن إرادة الحياة وإقبالا على الموت وتوقا دائما إلى الإعتاق من سجن الجسد قصد الالتحاق بعالم روحاني خالص. وتعتبر ثنائية "الروح والجسد" قطبي رحى النظرية الأفلاطونية ككل واللحمة الداخلية التي تصل بين الثنائيات المتفرعة عنها. فالروح أو النفس تعود إلى عالم المثل بعد أن تغادر الجسد عند الموت، إنها مصدر الانفعالات والفكر والوعي" يستدل على وجودها بتذكر المثل وتعقل المجردات، وتدبر البدن وضبط تصرفاته"[1] أما الجسد فهو عتمة تقابل نورها.

وبما أن الجسد عاجز عن بلوغ أمهات الفضائل التي يطلبها الفيلسوف فإن روحه "تحتقر الجسد أعظم احتقار، تهرب منه وتبحث عن الانعزال عنه[2].

أما أرسطو فقد تعرض لثنائية النفس والجسد على نحو يبرز من خلاله صلة النفس بالجسد تماثل صلة الحاكم بالمحكوم، وصلة السيد بالمسود "نشهد من جهة أولى، داخل النفس ذاتها وجود العقل، والوظيفة الطبيعية للعقل بداخلنا هي القيادة والحكم، ونشهد بداخلها من جهة ثانية، وجود ما يحتكم إلى العقل، وما هو مهيأ بحكم طبيعته لأن يصبح مأمورا[3].

لم يفاضل **أرسطو** بين طرفي ثنائية الروح والجسد بل اعتبرهما مكونين جوهريين للإنسان، لا يمكن لوجوده أن يتحقق ولماهيته أن تكتمل إلا بهما معا. وقد رد على الزعم الأفلاطوني بقوله: **"يحسن تجنب القول أن النفس تتعلم أو تفكر، بل قل إن الإنسان هو الذي يفعل ذلك بفضل ما به من نفس"**[4].

[1]- بيصار محمد، الفلسفة اليونانية، دار الكتاب بيروت ط 1، سنة 1993، ص 137136.

[2]- العلوي هشام، الجسد بين الشرق والغرب نماذج وتصورات، منشورات الزمن العدد 44، 2004، ص 46.

[3]- المرجع نفسه، ص 91.

[4]- زيدان محمود فهمي، في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة بيروت، 1980، ص 21.

وهذه النفس ليست إلا صورة للجسد وأداة لوظائفه بما أنها جملة من القدرات والاستعدادات مثل الإدراك الحي والتخيل والتفكير. وقد صنف أرسطو ثنائية الجسد والروح في إطار زوج أنطولوجي: الهيولاي والصورة، لا يمكن الفصل بينهما ولا استقلال لأحدهما على الأخر. وهما معا وجهان لعملة واحدة غير قابلة للانشطار أو التجزيء. فلا سبق إذن للروح ولا تأخر للجسد بما أن الهيولاي والصورة متلازمتان في الكينونة، وبالتالي في القدم.

يعد "مبدأ اللذة" عند الأبيقورية معيارا للتقويم الأخلاقي وغاية للسلوك الإنساني[1] فالخير الذي اعتبره أفلاطون قمة المثل وخالق الكون، تم حصره في الإحساسات اللذيذة فقط. يصرح أبيقور **"إنني لا أستطيع أن أتصور الخير إذا غضضت النظر عن لذات الذوق، ولذات الحب، ولذات السمع، وتلك الناجمة عن الصور الجميلة المدركة بالعيون، وبالجملة عن كل اللذات التي يحصل عليها الناس بواسطة الحواس، وليس صحيحا أن سرور العقل هو وحدة الخير، ذلك لأن العقل يسر برجاء اللذات الحسية التي بالتمتع بها يمكن للطبيعة أن تتحرر من الألم"**[2].

إن الحقيقة ليست جوهرا مطلقا ولا هبة من السماء، كما يتصورها التفكير النظري المجرد (أفلاطون)، وإنما هي فعالية مرتبطة بحاجيات الحياة، وبمدى خدمتها لمطالب الإنسان المتجددة، مما يجعلها نسبية. بناء على هذا الرأي، تسترجع الفلسفة محتواها الواقعي وغايتها العلمية، وتعلن مصالحتها مع الجسد، مجال تحصيل اللذات والمتع. فالحاضر وحده لنا، لا اللحظة الماضية ولا تلك التي نرقبها، لأن الأولى زالت، والثانية لا ندري ماذا ستكون[3]. فلا مبرر إذن لإماتة الجسد ما دامت السعادة لصيقة قيم أرضية تعمل على تجنيب الإنسان الألم وتحفزه على حب الحياة.

[1]- بدوي عبد الرحمان، الفلسفة القورينائية أو مذهب اللذة، ط 1، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ص 104.

[2]- نفس المرجع ، ص 107.

[3]- نفس المرجع ، ص 106.

مما سبق، نخلص إلى أن أطروحات تلك المذاهب حول الوجود والمعرفة والقيم، لم تكن غريبة عن معتقدات المجتمع الإغريقي. وقد عبر عن ذلك **أرسطيفوس القورينائي** قائلا: **"ذهبت إلى سقراط لأتعلم، والى ديونيزوس لاستمتع"**[1] فلا تعارض إذن بين العلم والمتعة،بين المعرفة والجسد، ولكن بينهما تظافر. صاغه اليونان في شكل نمط حياتي محكوم بمعايير جمالية ومطبوع بمسحة إبداعية، يمكن تلمسها في شعائر ديونيزوس الاحتفالية، وازدهار الفنون التصويرية التي اتخذت من الجسد والجمال في نصب خالدة ووعي في إنجازها مطابقتها للمتخيل الموجود بين الأخلاقي والجمالي، ويحول الشحنة الوجدانية والصفاء الروحي إلى ملامح مورفلوجية متناسقة تحاكي نموذجا أصليا للجسد المثالي[2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفلاسفة العرب رغم تأثرهم الكبير بأفلاطون لم يذهبوا إلى احتقار الجسد على شاكلة ما نجده في "الفيدون" ولم يخطر ببال أحدهم أن يأخذ على عاتقه شعار أفلاطون :"الفلسفة هي تدرب على الموت"، إن تداخل وتفاعل فلسفتي أفلاطون وأرسطو مع مبادئ الإسلام من جهة ومع بحوثهم الطبية من جهة أخرى جعلهم يعيرون الجسد الإنساني قيمة نسبيا، لا نجدها في الفكر الفلسفي المسيحي القروسطي الذي غلبت عليه مسحة روحية مفرطة كرست الموقف الأفلاطوني بل وعمقت الهوة التي وضعها بين النفس والجسد، هذا رغم أن المسيحية هي في الأصل دين التجسد–تجسد الإله.

[1]– بدوي عبد الرحمان، المرجع سابق، ص 106.

[2]– العلوي هشام، الجسد بين المشرق والغرب نماذج وتصورات، مرجع سابق، ص 51.

2. الجسد في الخطاب الفلسفي الإسلامي:

إن التفكير في الجسد في الفكر الديني الإسلامي يحكمه تعدد الخطاب الديني الذي يتداخل فيه الفقهي والبلاغي والتاريخي والفلسفي والصوفي، و تداخل المقدس والمدنس، الحلال والحرام، التجربة الفردية والسلطة الاجتماعية، الأمر الذي يستدعي مساءلة هذا الخطاب من منطلق أن هناك جسدا دينيا بدلالات متعددة بحكم كونه جسدا له محدداته من جهة وله تمثلاته ورموزه وتخييلاته المتنوعة تنوع الفضاء الزمني والمكاني، إن الجسد الديني بهذا المعنى ليس جسدا عضويا بل جسد ثقافي رمزي فاعل[1]. لكن الجسد الديني ستتعدد مفاهيمه وأهدافه تاريخيا فلم يعد جسدا من أجل تقديس العظمة الإلهية، بل أصبحت له تجليات أخرى أبرزها جسد المجون والمرح حيث سنشهد لحظة إبداع واسعة حول اللذات الجسدية وقلة الإهتمام بالمقدس ومحدداته، حتى أن ابن عربي قد أشار إلى أن مسلمي زمنه يفضلون الحدائق على المساجد[2].

و قد اخترنا ابن القيم من خلال كتابه – أخبار النساء – نموذجا لوصف جمال جسد المرأة، يتحدث عن جغرافية لجمالية الجسد من الوجه إلى القد إلى الثدي فالبطن وصولا إلى الساق والقدم، يصف ببلاغة جمالية فائقة، ومما جاء في كتابه حديثه عن وصف الفضل **بن الربيع –وزير الأمين–** لجارية رآها قائلا : **" ثم رفعت ثيابها حتى جاوزت نحرها، فإذا هي كقضيب فضة قد شيب بماء الذهب يهتز على مثل كثيب، ولها صدر كالورد، عليها رمانتان أو حقّان من عاج يملآن يد اللامس، وخصر مطري الاندماج، يهتز كفل رجراج، (...) وسرة مستديرة يقصر وهمي عن بلوغ وصفها، تحت ذلك أرنب جاثم أو جبهة أسد غادر،وفخذان لفاوان[3]*، وساقان**

[1]- الزاهي فريد، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، الدار البيضاء، المغرب، دط، دار إفريقيا الشرق، 1999، ص . 30.

[2] - Chebel Malek, *Le corps en Islam*, Paris, P.U.F- Quadrige, 1ère édition 1986, p. 24.

[3]*– لفاوان : ممشوقان ومكتسيان لحما.

خدلجان[1]*، **يحرسان الخلاخيل، وقدمان خمصاوان** "*[2] . إنه وصف جمالي وفق رؤية عمودية من الأعلى إلى الأسفل ينطلق فيه الفقيه من تشبيه طبيعي، ليبدو الوصف خطابا حول جسد رغبوي له قيمته الثقافية واللغوية، إنه يعبّر جدل المرئي واللامرئي، الفيزيقي والذاتي"[3]، لأن الواصف هنا ينطلق من الطبيعة الخارجية في التشبيه، لكن بناء على وعي ذاتي بالجمال، وعي كله تخييل بلاغي، وشهوانية مفرطة إننا أمام جسد كلي، إننا في هذا الوصف أمام جمالية معممّة على كلّ أعضاء الجسد عبر بلاغة اللغة.

إضافة إلى الصفات الجسدية للنساء يقوم بتصنيفهن حسب جمالية أعضاء على أخرى، ليشير إلى الرمجلة وهي المرأة الضخمة، والعيطبول وهي المرأة الطويلة، والغانية وهي التي تستغني بجمالها عن الزينة، والوسيمة أي ذات الحسن الثابت وكأنها وسمت به، والصبّاحة ذات البشرة الوضاءة والجمال في الأنف، والحلاوة في العينين، والملاحة في الفم، والظرف في اللسان، والرشاقة في القدّ، واللباقة في الشمائل، وكمال الحسن في الشعر[4] ثم يضع نمذجة لجمال الجسد حسب تطوّره في الزمن فتسمى "المرأة طفلة ما دامت صغيرة، ثم وليدة إذا تحركت، ثم كاعب إذا كعب ثديها، ثم ناهد إذا زاد، ثم معصر إذا أدركت، ثم خود إذا توسطت الشباب"[5] ، ويضيف إلى ذلك معجما لغويا لصفات جسد المرأة في جانبه الرغبوي فيتحدث عن الزجّاء والجيد والبهنكة والمملوءة والممشوقة والرقراقة والبضة والنظرة والرشوف[6] وغيرها، وكأننا في هذا الوصف أمام صورة فنية، تظهر أعدادا من الصور الصغيرة

[1] *- خمصاوان : مرتفع باطنهما عن الأرض لا يمسانها.

[2] *- ابن القيم، أخبار النساء، ص. 161.

[3] - لزاهي، فريد، الجسد والصورة والمقدس في الإسلام، ص. 85.

[4] - ابن القيم : أخبار النساء، ص. 228.

[5] - المصدر نفسه، ص. 228.

[6] - المصدر نفسه، ص. 229-230.

لنساء يظهر في كل منها عضو من أعضائهن باد في جماليته على غيره، من الوجه والأنف والقدّ والثدي وهكذا، فقط حلت اللغة محل الريشة والكلمات بدل الألوان.

و يقف القارئ لأخبار النساء على اهتمام خاص لابن القيم بصفة الضخامة، فتكون أول ما يبدأ به في صفات المرأة، بل يضع بابا كاملا حول الثدي الضخم قائلا في بدايته : **"ونذكر اختلافات الناس في الثدي** (...) **من استحسن الثدي الضخم ومن ذمّ ذلك"**[1] ليورد بعد ذلك عددا هائلا من الأبيات لشعراء يتغزلون بالثدي الضخم كنموذج مثالي لجسد أنثوي جميل، ولو عدنا إلى مقولته في بداية الكتاب حول أحسن النساء لأمكننا اكتشاف سبب اهتمامه بالضخامة، إذ يورد على لسان أعرابي قوله : **"أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت** (...) **الولود التي كل أمرها محمود"**[2]، هناك تراتبية يزاح فيها الجمال لصالح الخصوبة، بما يدل على تأثير واضح للتصورات العربية قبل الإسلامية بل و الشرقية القديمة خاصة منها السومرية التي تجعل من الشهوة خادمة للخصوبة[3]، يرجع ذلك إلى حضور المقدس الديني الذي يعطي مشروعية للجمال الرغبوي لكنه يضعه في تراتبية مقصدية تجعل الأولوية للخصوبة أو الولادة باعتبارها فعلا وجوديا يحيل إلى الإعادة المستمرة لفعل الخلق.

إن خطاب ابن القيم يبدأ بوصف جمال المرأة –الأم الولود، وينتهي بوصف جمال المرأة – الأم الضخمة، العظيمة الثدي أو الناهد كما يسميها، وبين البداية والنهاية حديث وحكي عن المرأة – الجارية. يشير – الغذامي – في كتابه – المرأة واللغة – وهو يحلل حكايات "ألف ليلة وليلة" إلى الفرق بين جمال المرأتين، فحسن وجمال المرأة – الجارية هو جمال من أجل الغواية – في حين أن جمال

[1]– ابن القيم : أخبار النساء، ص. 131.

[2]– المصدر نفسه، ص. 11.

[3]– لمعرفة أكثر حول التصور الشرقي القديم لجمال الجسد القائم على قدسية الخصوبة والإنجاب أنظر: خياطة، محمد وحيد، المرأة والألوهية، اللاذقية – سوريا – ،دار الحوار، ط1، 1984 و كريمر – س–، طقوس الجنس المقدس عند السومريين، ترجمة : نهاد خياطة، دمشق، دار علاء الدين، الطبعة الثالثة، 2000.

المرأة – الأم أو السيدة فمن أجل الولادة[1]، جسد الأولى جسد الرغبة والمتعة، وجسد الثانية جسد التبجيل والخصوبة.

[1]– الغذامي عبد الله محمد، المرأة واللغة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 1997، ص. 71.

3. في الفلسفة الحديثة:

إن الفلسفة الحديثة تناولت مسالة الجسد بشكل مغاير للفلسفة اليونانية و في هذا السياق يقول **ديكارت** في كتابه التأملات **"سأعتبر نفسي أولا أن لدي وجها ويدين وذراعين، وكل هذه الآلة المؤلفة من عظم ولحم، كما تبدو في جثة أعطيها اسم الجسد... سأعتبر علاوة على ذلك أنني أتغذى وأمشي، وأحس، وأفكر وأحيل كل هذه الأعمال إلى الروح"**[1]. لقد أصبحت كل الوقائع حسب ديكارت خاضعة لفهم عقلاني ولمتطلبات الممكن، وذلك لأن غير الممكن لا يمكن أن يولد إلا العدم، فليس هناك من سر لا يمكن للعقل أن يصل إلى نهايته، ولهذا يطرح ديكارت نفسه كفرد، فهو ينتمي إلى عصر بدأ فيه الفرد يصير بنية مهمة في المجتمع وليس في مجموعة، وإنما في أهدابه الأكثر نشاطا.

فقد استطاع ديكارت أن يلفظ بطريقة رسمية الصيغ التي تميز الإنسان عن جسده: بمعنى من المعاني فصل الروح (النفس) عن الجسد، أي جعل الجسد حقيقة مستقلة، وعملية الفصل هاته لم تعد قائمة على أرضية دينية، بل أصبحت مظهرا اجتماعيا.

إن البعد الجسدي للشخص يتلقى بكل عبء خيبة أمل اللاقيمة، في حين بقيت الروح تحت وصاية الله، لقد أتقل الإنسان بجسد تضرر من النظر إليه كآلة من عدم كونه قابلا للتشغيل بشكل كاف ودقيق في إدراكه الحسي لمعطيات البيئة.

إن العقلاني ليس فئة من فئات الروح وإنما هو إحدى الفئات الممكنة للروح. ومن هنا تكمن صفته الأكثر بروزا، ربما أن الجسد ليس أداة للعقل فانه مهيأ للاحتقار، ولأجل ذلك جعل ديكارت الفكر مستقلا تماما عنه.

[1] – لوبروتون دافيد، أنتربولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، دار النشر مجد المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2 ،1997، ص 60 .

لقد أعادت الفلسفة الميكانيكية بناء العالم انطلاقا من فئته المفكرة وهي تفصل العالم المسكون من قبل الإنسان، والذي يمكن لشهادة الحواس أن تبلغه، والعالم الحقيقي الذي لا يمكن بلوغه إلا من قبل العقل فقط، وكما أقام باسكال ثلاث مراتب للحقيقة وفقا لزاوية الاقتراب من الظاهرة: الحواس، أو العقل أو الإيمان. فإن ديكارت أعلن إدراك حقيقة الأشياء من زاوية الحياة اليومية وإدراك آخر لها من زاوية العقل: "إنه فقط باستخدام الحياة والمحادثات العادية وبالامتناع عن التأمل وعن دراسة الأشياء التي تمارس الخيال، نتعلم كيف ندرك اتحاد الروح والجسد[1].

أما سبينوزا فقد أعطى صيغة مضيئة للمعرفة الجديدة فهو يرى أنه ليس بعيون الجسد يجب حل رموز أسرار الطبيعة، وإنما "بعين الروح" وهذه الصورة هي نفسها عند ديكارت.

إن سبينوزا يقر أن الانفعال هو انفعال الروح والجسد معا والفعل كذلك فعلهما معا، ومعنى هذا أن هذا الفيلسوف أضفى على الجسد والروح نفس القيمة الأنطولوجية والأخلاقية وانتقد الموقف الديكارتي الذي كرس التصور الماورائي عن علاقة النفس بالجسد.

ويمكن القول إن **سبينوزا كشف** التوجه الديكارتي الذي يفصل "أنا أفكر" عن الجسد فصلا تاما في التأملات حتى أننا لا نسترجع طبيعتنا وجسدنا إلا في التأمل السادس والأخير.

تلك هي النزعة الميتافيزيقية التي دعمها ديكارت أما الفلسفة المحايثة التي فتح لها سبينوزا فضاء فسيحا فهي تضع الجسد والنفس في مرتبة أنطولوجية واحدة. ولذا نجدها تتخلل الفكر المعاصر الذي يسعى إلى مصالحة الإنسان مع جسده، بعيدا عن الموقف الماورائي المتعالي الذي يتضمن في نهاية المطاف تطورا أخلاقيا عن الكينونة.

[1]- لوبرتون دافيد، انتوربولوجيا الجسد والحداثة ترجمة: محمد عرب صاصيلا مجد، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1997، ص 60.

أما **نيتشه:** انتقد المنظور المثالي للجسد فقد قال " **إنني أرى جسد لا غير، وما الروح إلا كلمة أطلقت لتعيين جزء من هذا الجسد**"[1] لقد قام نيتشه بثورة عارمة على عدمية الفكر الغربي الكلاسيكي، عبر تجلياته العقائدية والأخلاقية والفلسفية وانتهى بعد تحليله لمكوناتها واكتشافه لغاياتها إلى أن انتساب هذه المنظومة إلى العقلانية ليس سوى ادعاء إنبنى تدريجيا على أنقاض الغريزة والشبق وإرادة الحياة. وتأتي هذه الحملة النقدية كرد فعل مضاد على المؤامرة التي تهدف إلى اقتلاع الحياة من جذورها الأرضية[2] وتحويل المعرفة عن وظيفتها العملية ووسائلها الحسية.

هذا الموقف، يبين بأن فلسفة نيتشه حول الجسد تقابل جذريا طروحات الثقافة الإغريقية قبل الأرسطية التي آمنت بالعقل إيمانا وثنيا واستحضرت الوعي كشيء أكبر بينما استخفت بالجسد ولم تعره أي اهتمام ولم تمنح نفسها فرصة لاكتشاف أسراره. وظل منظورها قائما على الفصل والتجزؤ والإقصاء بقول **نيتشه** في كتابه العلم المرح "**لا نستطيع نحن، الفلاسفة الآخرين فصل الروح والجسد، كما يفعله العامي، ينبغي لنا دوما تأليف أفكارنا من عمق معاناتنا، وتدبير أمرها بحنان بكل ما فينا من دم، من شفقة، من رغبة، من هوى، من قلق كبير، من وعي، من قدر**"[3].

وهكذا، لم يعد الجسد يقوم على خدمة الأنا، بل أصبح يرى بعيون الحس ويسمع بآذان العقل، بعد ما كانت الهوية مرتبطة بوحدة الوعي بالذات وسيادة النفس على البدن، أصبح الجسد هو الذي "يواجه ويرد ويغزو ويدمر، بل أصبح سيد الأنا"[4].

[1]- إبراهيم (الزهرة)، الأنتروبولوجيا والأنتروبولوجيا الثقافية، وجوه الجسد، مرجع سابق، ص109.
[2]- العلوي هشام، الجسد بين الشرق والغرب نماذج وتصورات، مرجع سابق، ص57.
[3]- إبراهيم (الزهرة)، مرجع سابق، ص115.
[4]- عز العرب لحكيم بناني، لجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، عدد 4، مجلة 37، أبريل يونيو 2009، ص114.

4. الجسد في الخطاب الفلسفي المعاصر:

لقد تجاوزت الفلسفة الفنومنولوجية الكوجيتو الديكارتي، إذ يعتبر **موريس ميرلوبونتي** (1908_ 1961 م) **" أن أجسادنا ليست مستقلة عنا، بل هي وسائلنا التي نعبر بها عن أنفسنا بشكل طبيعي"**، ويستعير عبارة " **مارسيل**" الشهيرة: **" أنا جسدي ، وبما أن أجسادنا تحيلنا بشكل دائم إلي العالم والآخرين، فإن خبرة أجسادنا وخبرة جسد الآخر هي ذاتها جوانب لوجود واحد، فمن هنا حيث نقول أننا نري الآخر، في الحقيقة يحدث غالبا أننا نجعل أجسادنا موضوعا والآخر هو الأفق أو الجانب الآخر لتلك الخبرة، وهكذا نتكلم مع الآخر رغم أننا لا نتعامل إلا مع أنفسنا.**

يأكد **ميشيل فوكو** على الترابط العضوي بين الجسد والعقل، و يضع الجسد في قلب الاهتمام، ويجعل من العقل مجرد وظيفة، فالجسد هو ما يستحق الاهتمام والرصد، حيث يجب أن يعبر بكل حرية وبكل تلقائية ومن دون موانع أو قيود؛ لكي يتجلى المكبوت وتظهر الحقائق دون زيف، لذلك كله لا يرى «**فوكو**» فائدة ترجى من تغييبه، بل يجب أن يصبح الجسد حاضراً في اليقظة والمنام، وجذوة مستقرة في الوعي واللاوعي، كي لا يغيب التفكير في المكبوت والمحرم والمقموع، فالانحراف والجريمة والجشع عنوان عريض لتلك الأعراض المرضية، وهي خير من يكشف قيم ثقافية زائفة اضطهدت الجسد وكبلته وعطلت طاقته ومارست عليه الحجر؛ لذلك يرى أنه من اللازم إعادة الاعتبار للجسد عبر الكشف عن المسكوت عنه، فالجسد له فكره، والفكر له جسده، ومن لا جسد له، لا فكر له، لأن الجسد حضور ووعي بالكينونة، لأنه والروح صنوان لا ينفصمان، إذ لا توجد ذات متعالية فوق الجسد، فهو المأوى والمثوى. ليس هذا فقط، بل إن «**فوكو**» يؤكد أن تحقير الجسد، وإنكاره وتغييبه بمثابة حرب مدمرة للروح أيضاً، لذلك فإن حق الجسد في الوجود علامة أولى لوجود

الروح وسعادتها أيضاً، ومن ثم أصبح الجسد والاحتفاء به عند «**فوكو**» كناية عن الوجود، وبالتالي فالاحتفاء بالجسد مجرد حق ثم إرجاعه لنصابه بعد أن تم تغييبه طويلاً[1].

ومن هنا يمكن القول إنّ ما قبل الحداثة هي طور الفرار من الجسد واحتقاره للتركيز على الروح، وأن الحداثة هي رد الاعتبار للجسد وتحريره وتنمية قدراته والحفاظ على التوازن الصحي الطبيعي، أما ما بعد الحداثة فإنها تروم التغيير في الجسد، فالجراحة التجميلية، وغرس الأعضاء الصناعية، وانتقاء الخلايا الأصلية من أجل "إعادة إنتاج" جزء أو عضو من الجسد هي بعض مظاهر الصحة البيوتكنولوجية التي لم تعد حصيلة عناية بالرأس المال الجسدي فقط وإنما تغييره، كأننا أصبحنا نشهد إلى جانب الاصطفاء الطبيعي اصطفاء صناعيا.

وإذا كان جسد الحداثة ينخرط في الزمن وفي التاريخ وينشد التقدم في كل المجالات؛فإنّ جسد ما بعد الحداثة يرغب في التغيير والمتعة لكن بنسيان التاريخ قدر الإمكان، إنه تخلص من الماضي (مثل جسد الحداثة) ولكنه أصبح عكس جسد الحداثة، دون مستقبل لأن المستقبل صار غامضا تماما، مع انسداد الأفق.

نرى أنّ الغرب يعيش توترا بين جسد الحداثة وجسد ما بعد الحداثة. فهو يبحث أحيانا عن المحافظة على الصحة والتوازن الطبيعي للجسد مع احترام قانون الشيخوخة والموت وهو يروم أحيانا أخرى استغلال كلّ الإمكانيات البيوتكنولوجيا لتغيير الأجساد وزرع أعضاء صناعية والاعتماد على البحوث الجينية للتدخل في الجسد قبل الولادة ... وهذا أفرزا جدالا حادّا كما تعبّر عنه البيوايتيقا اليوم.

أما المجتمعات العربية فإنها تشهد تواجد كل أنواع تمثلات الجسد – جسد محجب وجسد مرئي و جسد يصبو إلى الاستقلال و تغيير المظهر (منم خلال إتباع المودة و جراحة التجميل...)

[1]- حسن المصدق ، البيولوجيا السياسية بين سلطة المعرفة ومعرفة السـلطة، جريدة العرب الدولية ، لندن/ 2007. ، 7 –26.

الفصل الثاني

الجسد في خطاب العلوم الاجتماعية والإنسانية

1. الجسد في الخطاب الأنثروبولوجي:

إن سؤال الجسد ينفتح على حقول معرفية مختلفة من طب و فلسفة و انتروبولوجيا و علم نفس... وشكل الجسد في مختلف الثقافات تمثلات تتحكم فيها ثقافات الشعوب المختلفة، كما أن كل المجتمعات تختزن مفاهيم و تصورات فلسفية عن موضوعة الجسد.

تتحدد هوية الإنسان من خلال جسده، فبدون الجسد الذي يعطيه وجها، لن يكون الإنسان على ما هو عليه، والمعالجة الثقافية التي يعد موضوعا لها، والصور التي تتكلم عن عمقه المخبأ، والقيم التي تميزه تحدثنا أيضا عن الشخص، وعن المتغيرات التي يمر بها تعريفه وأنماط وجوده، من بنية اجتماعية لأخرى، وبما أن الجسد يوجد في قلب العمل الفردي والجماع، وفي قلب الرمزية الاجتماعية، فإن له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر[1]. وليس هناك من شيء أكثر غموضا بدون شك، في نظر الإنسان من عمق جسده الخاص. لقد انطلق مخيال جديد في السنوات الأخيرة، فالإنسان المعاصر اكتشف في نفسه جسدا، اجتذب خطابات وممارسات كثيرة و متنوعة في وسائل الإعلام. إن الثقافة المعاصرة تعارض بين الإنسان وجسده، والمغامرات الحديثة للإنسان وقرينه، جعلت من الجسد نوعا من الأنا والآخر[2].

في القبائل القديمة التي كان الجسد فيها يستعير خصائصه من البيئة التي يعيش فيها سواء كانت بيئة نباتية أو حيوانية. وكان الإنسان وجسده والبيئة المحيطة يشكلون وحدة واحدة حميمة، فلم يكن الجسد يدرك كشكل أو مادة معزولين عن العالم، يتماثل هو مع الطبيعة وتتماثل معه، فيمسي الجسد ليس له نهاية، لا حدود بين عالم الأحياء والأموات، فالموت حالة من حالات التحول إلى وجود آخر، ويمكن أن يحل الإنسان في حيوان أو شجرة أو طائر. والإنسان لا يوجد من خلال فرده فقط،

[1]- دافيد برتون، انتربولوجيا الجسد والحداثة، 1997، ص 5.

[2]- حفنأوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، 2007، ص 271.

فهو يستمد وجوده من علاقته بالآخرين وبكل الموجودات من حوله ويستمد طاقته وقوته منها، فكان بينهم رابطة دم وروح[1] .

وفي عالم القبيلة كان من ينعزل أو ينفرد عنها، يعرض نفسه للتهلكة، فهو يستمد قوته من نظام القبيلة. ظلت هذه الأشكال من التوحد موجودة بكثافة في فنون الشرق القديم كالفن الآشوري والفرعوني، وفنون الآراميين، فلا أحد ينسى الأسد المجنح برأس إنسان في الإرث الآشوري، ولا ننسى المزج في رسوم ومنحوتات الفراعنة، كأن ترى رأس الصقر الإله على جسد إنساني، أو رأس إنسان على جسد أبي الهول، أو رؤوس الأكباش وأبن آوى على أجساد بشرية، والأمثلة كثيرة وكلها تكرس هذا التوحد بين الجسد البشري وموجودات الطبيعة والكائنات الحية من حوله، أضف إلى ذلك في حضارات الشرق كان هناك تكريس لأشكال التوحد بين الجسد ومجتمعه ضمن أنساق ومجموعات، كأن تنظر إلى عدد من الفلاحين المصريين القدماء على جدران المعابد فتراها مجموعات متراصة بعضها بجانب بعض متشابهة جداً في حركتها وحجومها وملابسها، وتقوم بنفس الحركات والطقوس من جمع المحصول أو تقديم النذور.

كذلك في الفن الآشوري فالناظر إلى الشخوص على بوابات المعابد، أو إلى الجنود في ساحات القتال يجد هذا النمط لأنه في تلك الحضارات عندما تقول فلاح، فأنت لا تميزه بشخصه واسمه، بل تنسبه إلى الأرض ضمن مجموعته، وكذلك العامل، فلم يكن يميز بالرسوم إلا الكهنة والفرعون والآلهة عموماً على أنهم أعلى منزلة، وكلما زاد الارتقاء الهرمي تميز الأفراد بأجسامهم الكبيرة، وبتفرد لباسهم، وخصوصية صنعتهم وطقسهم.

أما المجتمعات التي كانت تفرق بين الجسد ومجتمعه بحسب تفرده ومكانته، فقد كانت المجتمعات الغربية، وبداية هذا التفرد عند اليونانيين وفي حضارتهم، الذين أعلوا من شأن الإنسان

[1]- لوبروتون ديفيد (1997) انثروبولوجيـــا الجســـد والحداثة ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسســة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت.

وجعلوا الإله على هيئته وكرسوا حضوره الجسدي، قوياً يمتلئ حيوية ونشاطاً، وجعلوه شكلاً مثالياً ومقياساً لكل شيء من حوله وأنسنوه ليعززوا من حضوره ونفوذه في الكون، وأظهروه محارباً أو لاعباً رياضياً يميّزهُ نوع لعبته أو صنعته أو دوره المتفرد في المجتمع؛ والقارئ للإلياذة والأوديسة يلمس هذا.

لقد تاثر العقل الغربي بدرجات متفاوتة بانماط الجمال المثالي الاغريق وذلك من عصر النهضة حتى القرن الحالي، حتى أن أبنيتهم وعلاقة الكتل فيها وقيمة وتناسب الحامل والمحمول في العمارة اليونانية استمدوها من الشكل البشري وتناسب أعضائه، فأصبحوا يطلقون على الأعمدة "جذع العمود، وبطنه، ورأسه". يقول **فيتروفيوس**: «**عندما يشرع في وضع قواعد الأبنية المقدسة، يعلن فجأة أنه يجب أن تكون لتلك المباني نسب الإنسان نفسها كما يشير إلى النسب الإنسانية الصحيحة، ثم يلقي بعبارة تقول: إن جسد الإنسان هو مثال لتناسق النسب؛ حيث أن الذراعين والساقين في حالة مدها تنتظم في أشكال هندسية كاملة هي المربع والدائرة**».

وفيما بعد منذ عام «1507» يستنتج دوور في أوج عصر النهضة أنه ليس هناك مقياس هندسي صارم للجسد لكي يكون مثالياً وجميلاً كما فعل الإغريق عند «فيداس» و«بولكليت» مثلا بأن تكون نسبة 7/1 أو 8/1 هي النسبة المثالية للجسد، فهو يقول في مقدمة إحدى كتبه، والمقولة لدوور: «**لا يوجد على وجه الأرض من يستطيع أن يقدم حكماً نهائياً على أجمل شكل يمكن أن يكون عليه الجسد البشري، فالله وحده أعلم بهذا، فليس من السهل أن نتعرف على الحسن والأحسن بالنسبة للجمال؛ حيث من الممكن عمل جسدين مختلفين لا يتناسب أحدهما مع الآخر كأن يكون أحدهما عريضاً والآخر نحيفاً، ومع ذلك يصعب علينا أن نحدد أيهما يتفوق على الآخر من الناحية الجمالية**».

لقد كان في العصور الوسطى شبه انفصال بين الجسد وصاحبه أي بين «بنيته الجسدية وروحه ونفسه» فقد تقهقر الجسد على حساب الروح كما في الزهد والتقشف المسيحي، وانعكس هذا على

تجليات ظهور الأجساد في المنحوتات الفنية في العصور الوسطى، وأصبح يستر الجسد ثياب سميكة وثنيات كثيرة ويظهر بنحولهِ وطوله و كانت المسيحية في البداية مثلا ترفض رسم الوجه وتصدر فتاوى أحيانا في ذلك.

تماماً كما حدث في الفن الإسلامي ليغيّب الجسد عن الفن أو يبسط ويختزل كثيراً ويمسي رمزاً من مجموعة رموز صغيرة تدخل كعنصر زخرفي ضمن أنماط زخارف نباتية ليبتعد عن تأويله البشري التعبيري، أو لنلمس رسوم الجسد في بعض الكتب الطبية والجغرافية لهدف معرفي نفعي أو يظهر في المنمنمات الإسلامية مستوراً غالباً كامتدادٍ للفنون الفارسية القديمة قبل الإسلام في الرسم أو النحت. وهذا ما كرسته الأديان السماوية جميعها تقريباً من إعلاءٍ للروح على حساب الأجساد.

عصر النهضة وما بعدها ونتيجة لعدة عوامل، فقد أخذ الإنسان يكرس فرديته، وأصبح الجسد له حدوده مع الآخر، وأخذ الإنسان المثقف يحس أن ذاته مفعمة بالجسد الذي طال استلابه، وعاد لتكريس وجوده عن طريق ثورة تدريجية ضد سلطة الكنيسة و خاصة بعد سقوط القسطنطينية، وهجرة كثير من الفنانين والمفكرين.

مع تقدم علم التشريح خاصة علي يد الطبيب البلجيكي فيسال (1564/1514) انزاحت القداسة عن الجسد وأصبحت عمليات تشريحه تتم علي الملأ في الساحات أمام جماهير غفيرة من البشر، ومع تقدم فنون الرسم والتصوير تقدمت علوم الطب، كان كلاهما يستكشف الجسد الإنساني بطريقته الخاصة، وكانت دراسة علم التشريح وكذلك كل لوحة جديدة بمثابة الحل الخاص لتعطش المشرحين والفنانين للوعي، والمعرفة والفهم واليقين، واستمر هذا التعطش منذ ذلك التاريخ حتى الآن، استمر عبر تاريخ العلم و الفنون.

كل هذه المتغيرات والتطورات على صعيد العالم استفاد منها الفنان وانعكست على رسوم الشخوص في لوحاته وعلى إظهار جمالها وفتنتها وعلى تعريتها وجعلها عناصر أساسية في التكوين والموضوع.

كان علماء التشريح يصورون الجسد كلوحات فنية، وكان المصورون يصورون الأجساد كعلماء في التشريح، وأقرب مثال يتبادر لأذهاننا لوحة لرامبرانت هي «درس التشريح».

ومنذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر تكرست فردية الإنسان وتلمس قدراته الجسدية أكثر، فقد أعلت الفلسفة من شأنه وقدّمهُ علماء الاجتماع على أنه المحرك لتناقضات المجتمع وعلى أنه طاقة الفعل للتغير الاجتماعي. ولم يعد الفن يخجل بالعري فيقدمه على أنه معين للجمال، وطاقة للتعبير، ومغيرٌ للكون بإرادة القوة الخلاقة، فهو الذي يصنع قدره بنفسه وهو الذي يسيس العالم من حوله.

وزاد إحساس الجسد بفرديته وبغربته وبشيء من القطيعة عن مجتمعه لعدة أسباب فرضتها المتغيرات الجديدة الاجتماعية والعلمية والسياسية فيما بعد.

لقد عاد الجسد ليتضاءل في الفن الحديث ويفقد صدارته كما فقدها في الواقع الرأسمالي لتحل محله الآلة بعظمتها وبقدرتها على تخصيصه واستلابه وصار الحراك المادي والصناعي هو الأقدر على تقزيم الجسد وتكريس عزلته ونبذه عن واقعه. أصبح الجسد غريبا عن الإنسان، وسلبت منه قدسيته أو أصبح حقيقة مستقلة [1].

أصبح الجسد غريبا عن الإنسان، اي أصبح حقيقة مستقلة. أصبح الجسد الآلة النموذج الميكانيكي للعالم بل أصبح الجسد على حد تعبير لوبروتون زائدة حية للآلة.

[1]- لوبروتون ديفيد (1997) انثروبولوجيـــا الجســـد والحداثة ، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسســة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت.

ولعل الطب في ممارساته اليوم أصبح نموذجا لهذه الأداتية الميكانيكية فلم يعد يعالج المريض بل يعالج المرض مستقلا تماما عن المريض. فلكي تتم معالجة المريض بشكل أفضل لا بد من نزع الصفة الإنسانية عن الشخص.

الجسد في المدينة أصبح جسدا وظيفيا عقلانيا خاليا من البعد الرمزي كجسد إنساني. بروز ظواهر جسدية أخرى غريبة: الضجيج، الروائح، الإعلانات الخاصة بالجسد تحميلا له، إعلانات الرجولة، والفحولة والشبابية والشبقية والقوة – الرقص، الرياضة، الأدوات الصحية للمرأة، أدوات التجميل، الطب ألتجميلي، الجراحة التجميلية، وظهور تخصصات في الطب تعالج أثار الشيخوخة، .. إلخ إلى درجة أصبح الشعار إذا أردتم إن تتغيروا فابدءوا بأجسادكم، تغيير الجسد من أجل تغيير الحياة!

2. الجسد في الخطاب السوسيولوجي:

تعتبر سوسيولوجيا الجسد فرعا حديثا من فروع علم الاجتماع، إذ أن الجسد لم يكن موضوع معرفة سوسيولوجية يتمتع بمكانة الموضوع المحوري الأساسي بل كان حضوره لا يتجاوز مستوى الحضور الافتراضي أو مجرد محور صغير ضمن محاور كبرى. أو كما قال **جون ميشيل برتلو: "مادة سوسيولوجية ذات خسوفات"**. وهذا لايعني غياب الاهتمام المعرفي بالجسد قبل هذا التاريخ، بل بالإمكان رصد البدايات الأولى لهذا الاهتمام مع بدايات العلوم الاجتماعية في القرن التاسع عشر الذي كان حسب ميشيل برتلو "قرن الاهتمام بجسد العمال، وما يعيشونه في ظل ظروف العمل القاسية، من استنزاف مبكر وإعطاب وتشوهات .

ويظهر ذلك أيضا في دراسة فيليرمي في بحثه القيم عن الحالة الجسدية والنفسية المزرية للعمال المشتغلين في معامل القطن والصوف والحرير. وبناء على هذا الاهتمام المتزايد بالجسد العمالي سيتم

الاهتمام بالانعكاسات السلبية للتصنيع على الصحة وخصوصا مع تغير نمط عيش السكان نتيجة انتقالهم من الأرياف إلى المدن وما رافق ذلك من تكدس العمال بالقرب من المعامل في سكن غير لائق.

ومع ظهور مدرسة "التحليل النفسي" بدأ الحديث عن لغة الجسد حيث أصبح الجسد لغة تعكس بشكل غير مباشر العلاقات الفردية والاجتماعية كما تعكس الاحتياجات والرغبات ولو بطريقة رمزية.

ورغم أن رائد مدرسة التحليل النفسي **سيجموند فرويد** لم يكن متخصصا في علم الاجتماع فقد أدخل الاهتمام بالجسد كمادة تصنعها وتنتجها العلاقات الاجتماعية، ويساهم في تشكيلها التاريخ الفردي للفاعل الاجتماعي وعليه يصبح الجسد موضوعا للمفكر فيه.

تتحدد هوية الإنسان من خلال جسده، فبدون الجسد الذي يعطيه وجها، لن يكون الإنسان على ما هو عليه، وستكون حياته اختزالا مستمرا للعالم في جسده، عبر الرمز الذي يجسده. إن وجود الإنسان وجود جسدي، والمعالجة الثقافية التي يعد موضوعا لها، والصور التي تتكلم عن عمقه المخبأ، والقيم التي تميزه تحدثنا أيضا عن الشخص، وعن المتغيرات التي يمر بها تعريفه وأنماط وجوده، من بنية اجتماعية لأخرى، وبما أن الجسد يوجد في قلب العمل الفردي والجماعي،وفي قلب الرمزية الاجتماعية، فإن له أهمية كبيرة في فهم أفضل للحاضر[1]. وليس هناك من شيء أكثر غموضا بدون شك، في نظر الإنسان من عمق جسده الخاص، وجهد كل مجتمع بأسلوبه الخاص،لإعطاء جواب خاص على هذا اللغز الأول، الذي ينغرس الإنسان فيه. لقد انطلق مخيال جديد في السنوات الأخيرة، فالإنسان المعاصر اكتشف في نفسه جسدا، اجتذب خطابات وممارسات هالة في وسائل

[1]- دافيد برتون، انتربولوجيا الجسد والحداثة، 1997، ص 5.

الإعلام. إن الثقافة المعاصرة تعارض بين الإنسان وجسده، والمغامرات الحديثة للإنسان وقرينه، جعلت من الجسد نوعا من الأنا والآخر[1].

أما **بيير بورديو** فقد قدم نموذجا للدراسات التي ركزت على الجسد خاصة في أبحاثه الإثنوغرافية. لقد اعتبر بورديو أن البناء الذي يخضع له الجسد أصبح وكأنه بيداغوجيا ضمنية قادرة على تلقين تصور كامل على الكون: تصورات فلسفية وأخلاق وسياسة معينة وميتافيزيقا بعينها من خلال أوامر تتعلق بحركات جسدية. كما أنها قادرة على أن تطبع المبادئ الأساسية للتحكم الثقافي بعيدا عن كل وعي وعن كل تفسير: جزئيات اللباس جزئيات العناية بالجسد، وقد تبدو هذه الجزئيات غير ذات معنى. إن الاستثمار الاجتماعي للجسد يجعل أشكال اشتغاله وسيلة من وسائل التعبير عن بنيات وعلاقات اجتماعية ومرآة للتقابلات الاجتماعية مثل التفاعل ما بين الذكورة والأنوثة، إذ يتجسد ذلك في شكل استعمال الجسد أو اتخاذ أوضاع من أشكال التصرفات والسلوكات مثل صفة المشي والجلوس.... وباختصار، إن الجسد يعتبر :

- مجالا تنعكس عليه التمثلات والمخيالات والقيم.
- رابطا للطاقة الاجتماعية، فبواسطته يتم دمج كل فرد في النسيج الجمعي.
- نقطة تقاطع اللحظات الثقافية ومختلف أشكال التبادل الرمزي.
- أداة لإنتاج استراتيجيات فردية أو جماعية تسمح بالتعبير عن حاجة أو رغبة...

وبالتالي فإن الاستثمار الاجتماعي للجسد ليس في نهاية المطاف إلا تعبيرا عن "ميثولوجيا سياسية" تحولت إلى استعداد مستمر في شكل طريقة دائمة لاتخاذ أوضاع جسدية للكلام والمشي ومن ثم الإحساس والتفكير.

[1]- حفنأوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، 2007، ص 271.

من خلال ما سبق نكون أمام رؤية واضحة نستجلي عبرها مدى الاهتمام المتزايد للسوسيولوجيا بالجسد.

ننطلق في فكرة توجيه الجسد في مجتمعنا من خلال الدعوة إلى تجنب الإسراف في العناصر التي ذكرناها سابقا، فمجتمعنا يملك العناصره الأخلاقية التي تعمل على تكوين علاقاتنا الاجتماعية، ويملك عناصره الجمالية التي تسعى لتكوين ذوقنا العام داخل المجتمع، وهذه العناصر نجدها في أعرافنا وتقاليدنا وعاداتنا وقيمنا،أي أننا نجدها بصفة عامة في ثقافتنا[1]، وعليه فإن النشاطات داخل مجتمعنا مرتبطة ومحددة وفقا للمبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي الشائعين داخل مجتمعنا. إن توجيه الجسد في المجتمع لا يتم إلا وفق ترتيب خاص يقدم أو يؤخر المبدأ الأخلاقي على ذوق الجمال في سلم القيم الثقافية، وأن الاختلاف في ترتيب هذه العناصر بين نشاطين مختلفين يؤدي إلى اختلاف كبير ومتناقض في النتائج، فإذا قامت نشاطاتنا على أساس الدوافع الجمالية فإننا سوف نحصل على جسد لا حضاري، جسد يشبه نظيره الغربي، وقد لاحظنا فيما تقدم عرضه كيف أن وسائل الاتصال تسعى إلى توجيه مجتمعاتنا وفقا لهذا المبدأ وهي تتقدم في ذلك أشواطا كبيرة، أو لسنا نرى يوميا أجسادا يظن أصحابها إنها جميلة وهي عن الجمال جد بعيدة؟ أما إذا قامت نشاطاتنا على الدوافع الأخلاقية أولا، ومستلهمة من الدوافع الجمالية ثانيا، فإننا سنحصل على جسد متميز اجتماعيا وحضاريا.

إننا إذ نعطي اليوم الجسد أهمية بالغة ؛ فذلك لاعتقادنا بأن هذا الجسد الذي يدعونا يوميا لمشاهدته، وهو يعرف بأننا نشاهده – على حد تعبير ريشار بولد عندما يتكلم عن الصورة ويقول :بأنّ الصورة تعرف أننا نبصرها[2] – سوف يطبع أفكارنا وأحاسيسنا وسلوكاتنا ومساعينا وفقا لتمظهره داخل المجتمع، فليكن الجسد في مجتمعنا جسدا قيميا جميلا.

[1]- مالك بن نبي، شروط النهضة، 1971، ص 100.

[2]- ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها، 2002، ص 228.

3. الجسد في الخطاب التحليلي :

– الجسد و الصورة الجسدية:

لقد تم تناول مفهوم الجسد منذ القديم ، فالبدايات الأولى ارتبطت بالرؤية الفلسفية و التي تجلت فيما أشار إليه **"أرسطو"** أن صورة الجسم و ملامح الوجه ترتبطان بوظيفة الشخصية، وكان لهذا المفهوم من الرؤية الأدبية نصيب أكدت على ما لصورة الجسم من ارتباط وثيق بالشخصية واتضح هذا فيما عبر عنه **"شكسبير"** في إحدى مسرحياته في وصفه لشخصية **"قيصر"** أن ملامحه تعبر عن مدى خطورته و دهائه، و لم يسلم الجسد من مشرط العلوم الطبية البيولوجية من خلال التشريح بغية التعرف عليه عن عمق. لقد تنوعت المقاربات و التفسيرات للجسد فمن : الجسد الفلسفي إلى الجسد الأدبي للجسد البيولوجي و أخيرا الجسد العصبي و النفسي.

أ–تعريف الجسد :

يعرف السيلامي الجسد على أنه " كائن مادي مدرك وشاغل لمكان ما، ممتلك لإبعاد وكتلة "[1].

و في تعريف آخر هو: "جهاز معقد يقوم بتنفيذ الأفعال الحركية المعقدة و الغير المعقدة تحت دافع نزوي (غريزي) للظواهر النفسية مثل الرغبات ".[2]

مكنتنا العلوم البيولوجية من إكتشاف الجسد و تفسيره و لكنها لم تمكنا من معرفة كيف ينشط، يعاش، يحس، يدرك. فللجسد حقيقتين : داخلية (هوامية) و أخرى خارجية (فيزيولوجية) والمعنى الكامل للجسد يتموقع عند التقاء الجانب البيولوجي بالجانب النفسي، وعلم النفس لا يفصل

[1] - Sillamy. N. Dictionnaire De Psychologie, paris, Masson,1980. P 281.

[2] -Alexandre. F. La médecine psychosomatique, paris, Ed : petite bibliothèque, 1962.. P 28.

بين الجسد و النفس، فهو يدرس الجسد على انه أداة للسلوك و سند للهوية و كل ما هو نفسي يتكون بداخله، فالجسد إذن مادة فيزيولوجية و تصور نفسي لهذه المادة[1].

ب. تعريف الصورة الجسدية :

تعد من بين المفاهيم النفسية الأكثر استخداما من قبل المنظرين التحليليين. ظهرت بداية في المجال العصبي الفيزيولوجي إلى أن ادخلها ب.شيلدر عام 1935 كمفهوم في مذهب التحليل النفسي ويعرفها هذا الأخير على أنها " **صورة جسدنا الخاص ، التي نشكلها بداخل ذهننا أي بمعنى آخر الطريقة التي يظهر لنا بها جسدنا** "[2].

[1] - Sanglade. A. Image du corps et image de soi au Rorschach, in techniques projectives II, 1983, P 105 .

[2] - Shilder. P. Images du corps, paris, Gauimard, 1968..P 35.

يرى " **شيلدر**" إن كل ما يمكن أن يكون في البنيات اللبيدية ينعكس في بنية نموذج وضعية الجسم، فالأفراد الذين تسيطر عليهم الغرائز المؤقتة يشعرون و كأن مركز صورتهم الجسمية في نقطة ما من الجسد[1].

و في ما يلي نعرض ثلاث أنماط من الشخصية مستوحاة من النموذج الذي عرضه "ماريو بريشون سويتزر" للصورة الجسدية[2].

- الجسد في الذات (Le corps en soi) : هو الجسد الفيزيولوجي كما هو مركب، هو ذلك النمط التشكيلي (المورفولوجي) هو الجسد المحدد و المفسر. الجسد في الذات يوافق شخصية باطنية لنمط مورفولوجي معين يولد شخصية معينة.

- الجسد للآخر (Le corps pour autrui) : هو الجسد المنظور إليه من طرف الآخرين من خلال مظهره الخارجي، جاذبيته و درجة جماله. الجسد المنظور إليه من الآخرين، يولد شخصيته للآخرين يمكنها أن تختلف عن الواقع، نشوء هذه الشخصية يؤثر عليه و بقوة عناصر خارجية كالأنماط المرتبطة بالمظهر الفيزيولوجي.

- الجسد للذات (Le corps pour soi) :يمثل مجال التقدير الذاتي إنه الجسد كما يراه مالكه و يحدده. الجسد المقدر ذاتيا يوافق شخصية مقدرة ذاتيا، شخصيته مثمنة ذاتيا، شخصية كما يدركها مالكها.

تقع هذه الأنواع الثلاثة تحت التأثير القوي لعناصر خارجية ، هذه العناصر قد تملك التأثيرات المباشرة على العلاقة جسد- شخصية (الانتقادات التامة) أو التأثيرات المنعكسة الثانوية (الانتقادات المتقطعة).

[1] - Marcelli. D, Braconner. A. Psychologie de l'Adolescent, paris,1984, P 118 .

[2] - Bruchon Schweitzer. M. La psychologie du corps, paris, PUF,،1990 ، P 281.

هذه العناصر هي :

- التركيب La constitution: العامل الوراثي يؤثر بقوة على مرفولوجية الجسد (تشكيله) و من ثمة خطوط الشخصية المطابقة له.
- الثقافة La culture : الأنماط المرتبطة بكل ثقافة تؤثر على العلاقة (جسد لأجل الغير – شخصية) يكفي لإقناع الأخذ بمعيار " ما هو جميل جدا "[1]

- ج الواقع الجسدي و التخطيط الجسدي :

لطالما استعملا هاذين المصطلحين كمرادفين و كثيرا ما كان يستخدم احدهما للتعبير عن الآخر، عكس ما هو عليه اليوم، فالتخطيط مفهوم ذو قاعدة فيزيولوجية عصبية نقصد به الصورة التي يملكها الإنسان عن جسده و مختلف أقسامه و المكان و الوضعية التي يشغلها في الفضاء.

يعرفها **فوير** فيقول : " **التخطيط الجسدي هو تنظيم الإحساسات المرتبطة بجسدنا حيث أن هذه الإحساسات تكون على علاقة بمعطيات العالم الخارجي** "[2].

و تؤكد **ف. دولتو** على الفرق القائم بين الصورة الجسدية و التخطيط الجسدي : وجهة المخطط الجسدي جزء منه لا شعوري لكنه أيضا شعوري هو مرجع يسند الجسد الحالي في الفضاء، قليل الحساسية للفروق الفردية فهو نفسه عند مختلف الأفراد، على عكس الصورة الجسدية التي تعد غالبا لاشعورية خاصة بكل شخص فهي مرتبطة بالفرد و بتاريخه الخاص، كونها تمثل ملخص شامل لمختلف التجارب الانفعالية للفرد[3].

[1]- نفس المرجع، ص 282.

[2] - Voyer. P. Le dialogue corporel, paris, éd : Dunod, 1980. P 79 .

[3] - Dolto. F. L'image inconsciente du corps, Seuil, paris, 1984.، P 23 – 22.

أما **د. أنزيو** فهو يرى أن الصورة الجسدية تنتمي للسجل الخيالي ويتطلب تمييزها عن التخطيط الجسدي الذي يتعلق بالسجل الحركي و المعرفي، الصورة الجسدية لا شعورية و قاعدتها وجدانية، أما التخطيط الجسدي فهو شعوري و قاعدته عصبية في الحالة الأولى الجسد معاش كوسيلة للعلاقة مع الآخر، و في الحالة الثانية يستعمل الجسد كأداة للتأثير في المكان و الأشياء[1].

د. الصورة الجسدية و مفهوم الذات :

تعد الناحية الجسمية من المصادر الحيوية المشكلة لمفهوم الذات و التي تضمن بنية الجسم ومظهره وتناسقه فالصورة الجمالية للذات لها تأثيرها الايجابي في رؤية الفرد لنفسه و تصوره لذاته لان ذلك يدعو غالبا إلى استجابات القبول و الرضا و الاستحسان.

صورة الذات حسب **بيرون** هي " **الخصائص التي يلحقها الفرد لاشعوريا باناه الجسدي والناتجة عن كل معاش جسدي و الهوا مات المتعلقة بالذات و التي تحدد العلاقات بالآخرين، وعليه مفهوم الذات يرتبط بثلاث عناصر: تخطيط الجسد، صورة الجسد تصور الذات**"[2].

الصورة الجسدية و الهوية :

تعرف الهوية على أنها " **مجموع السياقات النفسية الأساسية التي يحقق الفرد خلالها تصورا لديمومته في الزمان و الفضاء، يستند تكوين الهوية إلى صورة جسدية متينة نسبيا و إلى فاعلية سياق التفرد و التمايز بالنسبة للآخر و المحيط** "[3] .

[1] - - Chabert. C. La psychopathologie à l'épreuve du rorschach,.، 1987 ، P 329 – 328.

[2] - Perron. R. Les représentation de soi : développements dynamique, conflits, France, Privat, 1991,، P 15.

[3] - Chentoub. V. Manuel d'utilisation du T.A.T, Approche psychanalytique, paris Dunod, 1990. P 42 .

و يؤكد ليهال أن إشكالية الهوية تتموقع على المستوى الجسدي أولا، و يفترض وجود علاقة بين المعاش الجسدي و صورة الجسد و بين التوازن النفسي.[1]

التناولات التحليلية للجلد:

دراسات و بحوث عديدة حول وظائف الجلد النفسية و تحديدا تلك التي تناولت التعلق والتأثيرات النفسية للحرمان الأمومي أدت إلى إحداث تطورات فكرية هامة لدى التحليليين الذين مارسوا طب الأطفال و من أهمهم **ج. بولبي** و **د.و.بينيكوت** و **ر. سبيتز** و ساهمت هذه الأبحاث في تحديد أهمية الجلد و وظيفته في تحقيق التطور النفسي للطفل[2].

ظهرت بداية أعمال **بولبي** في مقال كتبه 1958 the nature of childies to hismother و التي اقترح فيها نظريته حول غريزة التعلق حيث اعتبر أن هذه الأخيرة هي غريزة مستقلة عن الغريزة الهضمية و هي غريزة بدائية غير جنسية كما أن أعمال **لورنز** 1949 في دراسات له أقيمت على صغار الطيور و أقلية من الثديات وجد أن التعلق منفصل كليا عن الغريزة الهضمية المرتبطة بالغذاء و النظام بل تتوجه نحو موضوع لا يقدم أي مكافئة و إنما يكون في اتصال جسدي معه، أي أن الاتصال الجسدي هو المسؤول عن حدوث غريزة التعلق[3].

و لقد اعتبر **د.و.نيكوت D.W Winnicotte** انطلاقا من أعماله أن الأنا ينشأ من أنا جسدي و لا يبدأ الرضيع الارتباط مع الجسد و الوظائف الجسدية إلا إذا تم كل شيء بطريقة مناسبة، حيث يكون الجلد هو العضو الحاجز[4].

---

[1] - Lehalle. H. Psychologie des Adolescents, paris, 1ère édition,.،1985 ، P 83 .

[2]-. نفس المرجع، ص 44 .

[3]- نفس المرجع، ص 46.

[4] - Winnicott. DW. L'enfant et le monde extérieur, paris, Payot, 1972.1980.1990. P 13.

لقد اعتمد **د.اونزيو** في بناءه لمفهوم الأنا الجلدي على معطيات (ايثيولوجية، جماعية، اسقاطية، جلدية، اجتماعية و تحليلية) ساهمت بشكل كبير في تحديد هذا المفهوم الذي سبق ظهوره في الأفكار الفرويدية بصورة أن " **الأنا هو قبل أي شيء آخر أنا جسدي فهو ليس مجرد كائن سطحي بل انه هو نفسه إسقاط للسطح** "[1].

كما و قد قدم **د. انزيو** ترجمة خاصة في 1927 ظهرت في طبعة انجليزية بموافقة **س. فرويد** يقول: "**بصورة أخرى الأنا في النهاية يندرج من أحاسيس جسدية خصوصا التي تكون مصدرها سطح الجسد و يمكن أن نعتبرها كإسقاط عقلي لسطح الجسد، بالإضافة إلى تمثيلها لسطح الجهاز النفسي**"[2].

[1]- ج.لابلانش و ج ب. بونتاليس، 1985، ص 108.

[2] - Anzieu. D. Le moi peau, paris, Dunod, 1995.P 107.

خاتمة :

إن لكل واحد منا صورة ذاتية خاصة عن جسمه تختلف من شخص لآخر أساسها نفسي، استهامي. و تتأثر هذه الصورة بالتاريخ النفسي للشخص و تجربته و انفعالاته، فهو الذي يحدد نوعيتها و وظيفية بناءها و تعد من أهم الأسس التي ينطلق منها الفرد في بناء شخصيته و العالم الخاص به.

كلما كانت الصورة الجسدية جيدة الإدماج، لينة و أقل جرو حية نسبيا كلما كانت تعديدات الإصابة الخارجية على الإشكالية الجسدية اقل وزنا، أما في حالة العكس فسنجد صلابة و مقاومة حادة و قابلية جرو حية و عجز في التكيف.

إن المتعمق في تناولات المحللين و إسهامات المختصين في المجال السيكودينامي، يستنبط صلابة العلاقة بين الأنا و الجسد و أن انهيار هذه العلاقة الاتحادية الصلبة بينهما يؤدي حسب س.علي إلى انحلال في الشخصية و اضطراب تحقيق الذاتية أو الهوية[1].

و يشكل مفهوم الأنا الجلدي نقلة نوعية في هذا المجال، فبعد أن كان التحليل النفسي يؤكد على المحتويات النفسية اهتم أكثر بالحاويات النفسية، فلا يمكننا أن ننكر ما للجلد من أهمية في فهم الحياة اللاشعورية للفرد، هذا الجلد الذي هو أعمق ما في الفرد حسب تعبير بول فالري، يعمل على حماية حدود الذات و الجسد كما انه يشكل غلافا نفسيا يحمي الجهاز النفسي من الصدمات التي يمكنها أن تخل بالتوازن.

فعندما لا يقبل الفرد صورته الجسدية أو يرفض ذاته قد يقوم بأفعال قهرية سبيل تحقيق رغبته بتحسين هذه الصورة، و قد يرى في الجراحة التجميلية الوسيلة الناجحة لبلوغ الهدف و هذا ما يجعل المهمة صعبة لان المشكلة لا تكمن في العضو المراد تجميله بل في طريقة إدراك الشخص لمشكلته.

[1] - Shilder. P. Images du corps, paris, Gauimard, 1968.P 10.

الفصل الثالث

جراحة التجميل وجوانبها العلمية والتشريعية

1. المضامين العلمية لجراحة التجميل:

في هذا الفصل سنتطرق لمفهوم جراحة التجميل و ندكر جوانبها الايجابية و السلبية .متناولين أهم خطواتها .والقواعد التي تضبطها، شارحين تقنياتها، إخطارها والنتائج المتوقعة منها.

لمحة تاريخية عن جراحة التجميل:

وجد الجمال ومقاييسه مند العصور القديمة، حيث كانت أول المحاولات للحفاظ عليه عند الفراعنة المصريين الذين سعوا للحفاظ عليه حتى بعد الموت بواسطة ما عرف بعملية التحنيط .

و لقد عُرفت الجراحة التجميلية في العالم القديم، حيث استخدم الطبيب الهندي سوسروثا (Susrutha) ترقيع الجلد في القرن الثامن قبل الميلاد، فيما عُرف جرّاح آخر وهو من حواريي بوذا اسمه ديفاك (Divak) عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، حيث قام بإجراء عمليات تجميل منها علاج التشوّهات الخلقية، و قام الرومان في القرن الأول قبل الميلاد باستخدام تقنيات بسيطة في عمليات تجميل لإصلاح الأضرار في الاذن.

أما في القرون الوسطى حيث كان شائعاً بتر الأنوف كنوع من التنكيل الذي يمارس ضد المجرمين وأسرى الحرب، فإن بعض الجرّاحين في الهند كانوا يقومون بإصلاح هذا التشوه باستخدام قطعة من جلد الجبهة لتغطي هذا العيب[1].

ومن الحضارات المتعاقبة، نجد الحضارة الإسلامية التي عرفت ازدهارا في العلوم الطبية والجراحة، فكان ابن الهيثم أول من قام بخياطة الجروح بالحرير و أول من ابتكر الخياطة التجميلية، وكان لبعض علماء المسلمين الفضل باختراع بعض الآلات الجراحية التي سهلت القيام بهذا النوع من العمليات. ويعتبر الزهراوي أول من وصف أنواعا من الخيوط التي لا تترك أثرا مرئيا بالغا على الجلد وهو احدث فنا في الجراحة التجميلية. أما في عصر النهضة الأوربية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية تطورت

[1] - Glicenstein. J. La chirurgie esthétique, paris, Hermann.،1994 ، P 10.

جراحة التجميل نظرا لوجود إصابات في أوساط الجنود أثناء الحروب وأيضا لتطور الأبحاث والدراسات وخاصة بعد اكتشاف تقنية التخدير وكذا استعمال الميكروسكوب[1].

ولم تعهد جراحة التجميل حكرا على أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية بل وصلت إلى جنوب شرق آسيا و أمريكا اللاتينية في دول كالبرازيل. والمكسيك، وحتى الدول العربية أصبحت تعرف في العشريان الماضية إقبالا متزايدا على هذا النوع من الجراحة و خاصة بلبنان، ودول الخليج لتكتسب جراحة التجميل شعبية متزايدة في العالم كله وتصبح في القرن الواحد والعشرين من ضروريات الحياة العصرية.

جراحة التجميل: مفهومها ومجالاتها

– مفهوم الجراحة التجميلية:

يعرف المختصون جراحة التجميل بأنها: ((**جراحة تجري لتحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة، أو وظيفته إذا ما طرأ عليه نقص، أو تلف، أو تشوه**))[2].

وهي مصطلح لفن وعلم مخصوص، والمعنى الذي يدل عليه الاسم العربي هو تغيير مظهر ما للأجمل، حتى قيل: إن الغرض من جراحة التجميل هو إضافة لمسة جمال على الوجه، أو إخفاء بعض العيوب، أو آثار تقدم السن التي تعتريه، وبالتالي تحقق ما يصبو إليه الباحثون عن الأناقة، والجاذبية، والشكل المقبول.

وطالما هناك فن، وعلم مخصوص، فكيف أطلق عليه (جراحة تجميل)، وما مدى دقة دلالة هذا المصطلح بالعربية على حقيقة هذا الفن؟

[1].- Glicenstein. J. La chirurgie esthétique, paris, Hermann.،1994 ، P 29.

[2]– الموسوعة الطبية الحديثة، 454/3 .

تأتي كلمة التجميل كترجمة للفظ اليوناني (Plastos)، والتي ظهرت في المؤلفات الألمانية أولاً، ثم الإنجليزية والفرنسية والتي تعنى شكلاً، أو قالباً.

ولكن هذه الترجمة العربية غير موفقة، والمعنى المنقول إلى العربية لا يعبر عن الحقيقة. وقد أضيف إلى الاسم كلمة بمعنى (إعادة البناء) في اللغات الأجنبية مؤخراً، وفي العربية ظهرت كلمات (الإصلاح)، (والتقويم)، (والترميم) غير أن التباين بين الاسم والحقيقة يبقى كبيراً[1].

– تنوع الاصطلاحات بتنوع الوظائف:

إن ضبط الوحدة والتنوع في هذا المجال الجراحي مهم لمعرفة كل الإمكانيات والحدود لكننا نصطدم بغموض اصطلاحي يمكنه أن يخلف حيرة، فالنعوت متعددة والتسميات مختلفة، فكثيرا ما نسمع عن جراحة بلاستيكية (Chirurgie plastique)، جراحة تجميل (Chirurgie Esthétique)، جراحة ترميمية (Chirurgie Réparatrice)، جراحة تصحيحية (Chirurgie correctrice)،جراحة إعادة بناء (Chirurgie Rconstructrice).

فما هي يا ترى العلاقات أو ما هي الفروق التي تختبئ تحت هده المصطلحات والتي تعودنا على ذكرها عشوائيا دون ادراك لمعانيها و جرى تداولها في الكثير من الاحيان بنفس المعنى.

نعتين اثنين يحتويان على معنى عام ودال ويكمل أحدهما الآخر: جراحة بلاستيكية تقويمية (Chirurgie plastique et correctrice) و الثلاثة الآخرين جراحة إعادة البناء (reconstructrice) والترميمية (Réparatrice) و (التجميلية، Esthétique) معنى خاص ودلالة منفردة[2].

[1]– المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية، محمد النتشة، ط1، بريطانيا: مجلة الحكمة، 1422هـ/2001م، ص 238، 239 .

[2].- Grignon. JL. La chirurgie esthétique, paris, Edition robert Laffont, 2002. P 40.

وللتوضيح أكثر نستنتج ذلك من التعاريف التالية :

– الجراحة البلاستيكية (chirurgie plastique):

أصلها من الكلمة اليونانية plasticos و التي تعني خلق الموضة أو الشكل أي مرتبطة بالتشكيل و القدرة على إعطاء الشكل.

– الجراحة التقويمية أو التصحيحية (chirurgie correctrice) :

تشير إلى فعل قوم أو صحح لإزالة العيوب.

هذين الصفتين بلاستيكية و تقويمية تعرفان تخصصا جراحيا كاملا الذي يستلزم تسميته عموما الجراحة البلاستيكية و التقويمية (chirurgie plastique et correctrice) هدفها إعطاء مجددا حدود و شكل للجسد الإنساني بتقويم الأخطاء المورفولوجية و العيوب البنيوية وإعادة ضبطها. و في مضمون هذا الإطار و على الصعيد النوعي أو الاختصاصي فان الاحتياجات التي يفرضها العطب الجسدي تفتح أمام 3 أهداف مختلفة تعرف ب 3 نعوت هي

– جراحة إعادة البناء (chirurgie reconstructrice) :

هي جراحة تهدف لإعادة إنشاء وخلق أعضاء، بنيات، أو أنسجة داخلية كانت قد أتلفت جراء حادث أو ورم أو نقص خلقي و تعتمد على خاصية الاستبدال أو التعويض و ذلك إما بمواد من نفس الطبيعة أو اصطناعية مثال غرزات بيولوجية، معدنية أو كيمياوية. إذا الهدف هنا مزدوج وهو تجديد كل من الوظيفة و الشكل.

– الجراحة الترميمية (chirurgie réparatrice) :

تهدف هذه الجراحة إلى إعادة الأعضاء و البنيات والأنسجة المتدهورة لا سباب ما إلى حالة اقرب إلى الوضع الطبيعي. تعتمد هذه التقنية على استعمال مواد تشريحية هي عبارة عن أنسجة مهيأة وملائمة لمنطقة الجراحة بحيث يتم تنميطها على نسق طبيعي.

– الجراحة التجميلية (chirurgie Esthétique):

هذه الجراحة عكس سابقتيها (إعادة البناء والترميمية) فهي تهدف إلى تعديل وتحسين مظهر وشكل كل من الأعضاء والبنيات والأنسجة الداخلية السليمة والصحيحة. هذا النعت يتضمن في الأساس أولية فعل التعديل لما هو طبيعي وقد تستعمل مواد لإعادة التشكيل (كالغرسات، الحشوات) كما هو الحال في الجراحة التجميلية للثدي.

إذن الجراحة البلاستيكية يمكن أن تهدف لإعادة البناء أو تكون ترميمية أو تجميلية.

واختلاف هذه التسميات في الظاهر يبرز أكثر مع تقدم وارتقاء هذا التخصص الطبي الجراحي الحديث وكذا تعقيداته[1].

إن هذه الجراحات هي جراحات تجميلية في الأصل، لأن التقويم أو إعادة البناء أو الترميم لأي جزء أو بنية أو نسيج داخلي للجسم في حد ذاته تجميل و إن كانت الأولوية للوظيفة أكثر من الشكل. إذن يمكننا أن نقول أن الجراحة التجميلية الخالصة تعنى بتحسين الشكل ولا تفرضها حاجة جسدية ملحة أو عطب[2].

خصوصيات جراحة التجميل:

لا تنجم عن حاجة جسدية ملحة ولا عن قرار طبي محض بل من قرار شخصي وهذا في حد ذاته يشكل تحولا وانقلابا في الأدوار في العلاقة بين الطبيب و المريض.

تضم بين مرشحيها فئتي المراهقين والراشدين وغالبا يستثنى الأطفال ويكثر التدخل الجراحي لهذه الفئة في جراحات الترميم وإعادة البناء.

يتوجه للجراحة التجميل في الغالب من هم من الطبقة الثرية في المجتمع و ذوي الدخل المرتفع فبالرغم من انتشار هذا النوع من الجراحة إلا انه يبقى مكلفا وليس في متناول الجميع.

[1] - Grignon. JL. La chirurgie esthétique, paris, Edition robert Laffont, 2002. P.44

[2] – جيربر.د.سزنكوكويشيل .م.ترجمة .مركزالتعريبوالبرمجة .2006.ص15.

إن ميدان الجراحة التجميلية لم يعد حكرا على الجنس الأنثوي فقط و إنما أصبح للرجال نصيب في ذلك أيضا.

لم تصبح الجراحة التجميلية ميدانا طبيا خالصا بل تحولت في الفترة الأخيرة إلى سوق تجارية ومادة استهلاكية يجرى الطلب عليها كأي سلعة قابلة للتسويق و يعود هذا الدور للإعلام في الترويج لها مبسطا مضاعفاتها و أخطارها[1].

موانع الجراحة التجميلية :

تستثني الجراحة التجميلية من لهم مشاكل صحية و أمراض تظهرها الفحوصات ما قبل الجراحة أو تلك التي يعلن عنها الشخص نفسه.

أن يكون قرار الجراحة فرديا و ليس ناجما عن رغبة احد المقربين كالزوج مثلا أو صديق أو تحت أي ضغط أو تأثير كان.

مرور المرأة بمرحلة انتقالية تجعلها تطلب الجراحة و بالتالي التغير الجذري لحياتها، فالكثيرات يطلبن جراحة التجميل مدفوعات بمشكلات كالطلاق، مخيبات أمل لذا فالاستقرار النفسي والسلامة العاطفية مهمين جدا.

يستثنى ذوي الأهداف الغير واقعية و الغير مدركة لحدود جراحة التجميل فمهما بلغت هذه الأخيرة من تطور تقني و تكنولوجي نتائجها تبقى نسبية و معرضة لخطر المضاعفات و حتى للفشل فكثيرا من النساء يأتين و هن حاملات لصور فوتوغرافية لأشهر الممثلات أو الفنانات و يرغبن بشدة التشبه بهن.

[1]- جيربر.د.سزنكوكويشيل .م.ترجمة .مركزالتعريبوالبرمجة المرجع السابق .2006 ، ص 21.

عند أدني شك في مؤهلات الطبيب الجراح و خبرته و إذا لم تتوفر المعلومات الكافية عن التقنيات المستعملة و كذا السلامة و أمان المرفق الجراحي لابد من العدول عن قرار الجراحة. التدخين أحد أهم موانع الجراحة و يؤثر على مسارها و على الشفاء ما بعد الجراحة لأنه يقلل من كمية الأكسجين في الدم و يعيق الشرايين التي توصل الدم إلى الجرح فلا تلتئم الأنسجة والندوب تزداد قبحا .

الإستشارة قبل عملية التجميل :

هي مقابلة تجمع بين جراح التجميل و الشخص الذي يطلب العملية و التي تكتسي أهمية بالغة بالنسبة للطرفين.

- بالنسبة للجراح:

تمكنه الاستشارة من فهم دوافع و احتياجات المريضة، وبعد تأكده من خلال الفحوصات والتحاليل الضرورية من السلامة الصحية للمرشحة فانه يقيم و يدرس سبل تحقيق الهدف المنشود من الجراحة وذلك بتحديد الطريقة الأمثل و التقنية الأنسب حسب الإمكانات المتوفرة.

- بالنسبة للمرشحة:

تتيح الاستشارة للمرشحة من جمع المعلومات الكافية عن الجراحة و تقنياتها و كذا التأكد من مؤهلات جراح التجميل و خبرته، و تلعب الصور الفوتوغرافية لعمليات مماثلة أجريت للأخريات مرجعا هاما يزيد من معلومات طالبي هذا النوع من الجراحة، و يزيد اطمئنانهم فالثقة تلعب دورا مهما في قرار الجراحة.

في هذه المقابلة تعلن المرشحة عن احتياجاتها، دوافعها و الأهداف التي تنتظرها من الجراحة و تناقش مع الجراح سبل و إمكانية تحقيق ذلك[1].

[1]- جربر. د، سزنكو كويشيل. م. ترجمة مركز التعريب و البرمجة، 2006 ص 15.

– الموافقة المبلغة:

هو مصطلح قانوني بدا في الخمسينات لحماية و تثقيف الأفراد الذين تطوعوا ليكونوا مواضيع الأبحاث الطبية و الموافقة المبلغة هي عبارة عن استمارة أو مستند يشرح:

موضوع البحث.

تفاصيل المشاركة.

النتائج و الأهداف الموجودة.

يضع شروط و ضمانات.

و الموافقة المبلغة حاليا لا تختلف عن تلك التي كانت في السنوات الماضية و هي تطبق في الكثير من الأبحاث العلمية و طبيا تستعمل تقريبا مع كل استمارة لعلاج طبي و خاصة الحالات الطارئة التي تهدد الحياة.

اعتماد الموافقة المبلغة في جراحة التجميل ليس لحماية الجراح من الملاحقة عند وجود تقصير أو إهمال لأنه لا يوجد أي وثيقة قانونية تحمي الطبيب من الإهمال الواضح ، بل هي للتأكد و فهم المرشح فهما كليا لحيثيات جراحة التجميل و تقنياتها و الأهم لنتائجها النسبية و المحدودة و كذا لمضاعفات و المخاطر الممكنة، و كل هذا يحدد في الاستمارة قبل توقيعها .

و كمثال على ما يمكن إن تتضمنه الموافقة المبلغة في جراحة التجميل:

– طبيعة المواد المستعملة في الجراحة التجميلية كالثدي مثل : غرسات الثدي و نوعية حشوها[1].

[1]– جربر. د، سزنكو كويشيل. م. ترجمة مركز التعريب و البرمجة، 2006 المرجع السابق، ص 40.

– التخدير و أنواعه : إن نوعية التخدير المستعمل في الجراحة التجميلية يعتمد على عمق ومدى الجراحة كما يمكن لمرشحة الجراحة التجميلية إن تناقش خيار التخدير مع جراح التجميل وذلك لتوفر أنواع عديدة للتخدير المستعملة في الجراحة التجميلية ونذكر أهمها : التخدير عبر الفم، التخدير الفوقي (باستعمال كريم أو جل)، التخدير بالحقن (الموضعية / الكلية)، التسكين بواسطة المصل (كما في عمليات شد الوجه)، التخدير العام (مع أو بدون أنبوب في الرئة).

أنواع الجراحات التجميلية و أكثرها رواجا:

– جراحة شد الوجه (Lifting du visage) :

نعتبر شيخوخة البشرة ظاهرة فيزيولوجية يدخل تعديلها في الإطار التجميلي البحت[1] . C) (Grognard و تعتبر عملية شد الوجه من أكثر عمليات الوجه التجميلية انتشارا ولا تقتصر على النساء الأكبر سنا ، فقد نجد من هن في سن الثلاثين و يخضعون لهذه الجراحة ، فعلامات شيخوخة الوجه كالتجاعيد مثلا قد تظهر في أوقات مختلفة من أعمارنا فالوراثة و البيئة و الحالة النفسية لهم تأثير بالغ على البشرة. الهدف من الجراحة هنا هو إعادة نضارة الوجه و استعادة شكله الناعم.

[1]– Grognard. C. Ethique et dermatologie, paris, Elsevier SAS, 2002. P 10.

– الجراحة التجميلية للأنف (Rhinoplastie) :

يعد الأنف من أكثر تفاصيل الوجه بروزا ، و ذلك بحكم توسطه دائرة الوجه و له تأثير خاص على مستوى جماله و تهدف الجراحة التجميلية للأنف إلى تعديل شكله إذا ما لم يتناسق مع تفاصيل الوجه الأخرى.

– جراحة تجميل الثدي :

(Chirurgie Esthétique Du Sein : Mammoplastie)

هي جراحة تهدف لتحسين شكل الثديين أو أحداهما و ذلك بتغير حجمهما من تكبير أو تصغير أو رفع و شد[1]، و تتضمن عمليات الثدي التجميلية ما يلي :

– جراحة تكبير الثدي : (implant Mammaire) هي عملية جراحية تهدف لتعزيز حجم الثديين و ذلك بوضع بدائل أو غرسات في الثدي.

يتم اختيار الغرسات (Le choix des prothèses) و ذلك بتحديد حجم و شكل الغرسات حسب الحجم المرغوب فيه و كذا كمية الأنسجة التي تتوفر على مستوى صدر المرآة و يمكن حشو هذه الغرسات مسبقا أو حالما تتم عملية الغرس و هناك نوعين من الحشو ،فنجد غرسات محشوة بماء مالح (eau salée) و أخرى بجل السيلكون(gel de silicone).

و الفرق بينهما يكمن في إن غرسات السليكون أكثر سماكة و تعطي مظهرا طبيعيا أكثر من الغرسات المحشوة بالماء المالح ،لكن إذا ما تمزقت فإنها تخلف ألما و تشوها و تستوجب إزالتها أو تبديلها على الفور عكس الماء الملح إذا تسرب فان الجسم يمتصه بأمان لكن من سلبياته انه يعطي شكلا مجعدا وغير لائق.

[1]– جرير. د، سزنكو كويشيل. م. ترجمة مركز التعريب و البرمجة، 2006 المرجع السابق ،ص 72.

– تكبير الثدي من غير جراحة :

قد تتفادى بعض النساء خيار الجراحة لتكبير أثدائهن خوفا من مضاعفاتها وآلامها فيلجان لحقن الحشو ، أي حشو الثديين بدهون ويعتبر هدا محظورا دوليا لما فيه من أذى لغدد الثدي.

– جراحة تصغير الثدي (Réduction Mammaire) :

عملية جراحية تهدف لتقليص حجم الثديين و غالبا ما تصاحبها معاناة من ثقل حجمهما الزائد والتي تتمثل في ألام الظهر و العنق. تتم العملية في مرفق جراحي مجهز و بتوفر طاقم جراحي كامل و في وضعية تكون فيها المرأة جالسة عكس عملية التكبير و تحت تخدير عام.

هناك ثلاث تقنيات تستخدم في عملية تصغير الثدي الجراحية :

– استئصال جراحي مع إبقاء شرايين دم الحلمة و الأعصاب موصلة خلال استئصال الأنسجة الأخرى.

– تقنية شفط الدهون من خلال إحداث ثقب صغير للتصغير الثدي مع الحفاظ على الأنسجة الغددية.

– استئصال جراحي و تلحيم الحلمة بعد نزعها و نزع الأنسجة الزائدة و هذه العملية نادرا ما تكون ضرورية.

– الجراحة التجميلية للثدي وخطر أمراض السرطان : لقد ثبت انه لا يوجد علاقة أكيدة بين أي نوع من الجراحات التجميلية للثدي و خاصة تلك التي تحوي على غرسات من جهة و أمراض الثدي من جهة أخرى، و هذا ما أكدته معاهد دولية وأبحاث. في هذا الصدد أبلغت معاهد الطب الأمريكية عام 2000 أن سرطان الثدي ليس رائجا أكثر بين حاملات الغرسات من اللواتي لا يحملنها، و حسب دراسة صادرة عن جمعية السرطان الأمريكية في نوفمبر 2000 أفاد باحثون من جامعة ميتشيغن أن النساء اللواتي يخضعن لجراحة الثدي التجميلية استفدن كثيرا من الناحية الجسدية و النفسية[1].

– الجراحة التجميلية للبطن (Abdominoplastie):

شد البطن :

تهدف هذه الجراحة الى جعل شكل البطن مسطحا و ذلك بإزالة الجلد المترهل و شده وتقوية جدار و عضلات البطن و غالبا ما تكون هذه الجراحة مسبوقة بعملية شفط الدهون على مستوى هذه المنطقة إذا كانت نسبة الشحوم كبيرة.

سنتطرق في ما يلي إلى عمليات جراحية أخرى دون ذكر التفاصيل

- الجراحة التجميلية لتحسين محيط الجسم (Chirurgie esthétique de la silhouette)
- جراحة شد الذراعين (Lifting des bras)
- جراحة شد الفخذين (Cruroplastie ; lifting des cuisses)
- الجراحة التجميلية للأرداف (Chirurgie esthétique des fesses)
- تكبير و رفع المؤخرة (الأرداف)
- الجراحة التجميلية للأوراك (La chirurgie esthétique des hanches)

[1]– جربر. د، سزنكو كويشيل. م. ترجمة مركز التعريب و البرمجة، 2006 المرجع السابق، ص 103.

- الجراحة التجميلية للأعضاء التناسلية الخارجية للمرأة (Nymphoplastie)

(Chirurgie esthétique des organes génitaux externes de la femme)

تدخل جراحي يهدف لتجميل الشفتين الكبيرتين و الصغيرتين التناسليتين لدى المرأة و ذلك إما بتكبيرهما في حالة ضمورهما (Atrophie des lèvres) أو تصغيرهما في حالة تضخمهما (Hypertrophie des lèvres).

مستقبل الجراحة التجميلية :

تعرف جراحة التجميل تقدما مهما على مستوى التقنيات المستعملة و السلامة و النتائج، لكن بما أنها اكتست طابعا تجاريا و أصبحت صناعة استهلاكية فان مستقبلها متعلق بقدرتها على ملائمة متطلبات المستهلك و التي ترتكز في مجملها على نتائج طبيعية و طويلة الأمد مع مضاعفات اقل وفترة شفاء أسرع .

تعرف تقنيات و تكنولوجيا و المنتجات التجميلية تطورا كبيرا، و مؤخرا ازداد الطلب على العلاجات غير الجراحية من حقن و حشوات و بوتوكس و جلسات الليزر و التقشير الكيميائي وحتى العلاجات عبر الموجات الإشعاعية كلها تقنيات تمنح المريض كامل الرضى و تجعله يتفادى خيار الجراحة و لا يحتاج لوقت شفاء طويل ، لا انزعاج منها و حتى تكلفتها اقل مقارنة مع جراحات التجميل.

لكن لا يمكن الاستخفاف بمضاعفاتها ، و لا بد من اخذ الحيطة و ذلك بالاستعلام عن ممارسيها والتأكد من مؤهلاتهم و حتى نوعية المواد و التقنيات وإن كانت تتوفر على المعايير القياسية للسلامة[1].

[1]-.جيربر .د، سزنكوكويشيل . م، ترجمة : مركز التعريب و البرمجة ، ص 2006، ص 237.

2. الجراحة التجميلية في الخطاب التشريعي:

مقدمة:

إن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، فجعله في أفضل هيئة، وأكمل صورة، معتدل القامة، كامل الخلقة. كما أودع فيه غريزة حب التزين والتجمل، و دعا إليها عن طريق رسله وأنبيائه، ولقد جاء في الأثر : **"إن الله جميل يحب الجمال"**.

هناك إقبال شديد على هذا النوع من الجراحة في شتى أنحاء العالم بما في ذلك منطقتنا العربية. والمؤسف هو تشتت المواقف الفقهية من هذا النوع من الجراحة و غياب قانون ناظم لها والاقتصار في ذلك على النصوص العامة.

دواعي جراحات التجميل:

و قد أجملها السيد محمد طاهر الياسري الحسيني في بحثه" عمليات التجميل الجراحية ومشروعيتها الجزائية بين الشريعة والقانون" في ما يلي:

1- **الدواعي الصحية:** حيث تدفع المريض أحواله الصحية وما يصاحبها من آلام ومعاناة إلى إجراء عملية جراحية، بغية ترميم وإعادة تنسيق جسمه فيما لو كان قد تعرض إلى تشوّهات أو حروق، رغبةً في إعادة الجسم إلى طبيعته أو إعادة تأهيله خارجياً فيما لو كان قد تعرَّض إلى إصابات أعاقت حركته وفاعليته.

2- **الدواعي النفسية:** وذلك في الحالات التي لا يشكو فيها المريض من آلام أو إعاقات جسدية، إلاّ أنه يعاني من آلام نفسية بسبب قبح المنظر، وما يلاقيه من إحراج في حياته اليومية. و يفيد أحد أخصائي الأمراض النفسية أنه أُخضع مجموعة من المرضى الذين حضروا لإجراء جراحة تجميلية على الأنف لفحص نفسي، فتبين أن 40 % منهم لديهم اضطراب شخصية، ولم يكن هناك علاقة بين درجة التشوّه ومقدار هذا الاضطراب النفسي.

3- **الدواعي الجمالية:** كما في الحالات التي يرغب فيها الإنسان بإجراء عملية جراحية لتجميل أنفه أو فمه وإن لم يكن ثمة داع صحي، سواء كان على المستوى الجسدي كمعاناته من آلام جسدية أو على المستوى النفسي، إلاّ أنه يرغب في تعديل أنفه لمجرد الرغبة في التعديل ولدواع جمالية بحتة.

4- **الدواعي الإجرامية:** إذ قد يعمد بعض الجناة كاللصوص والقتلة وأعضاء العصابات بإجراء عملية جراحية تجميلية إلى تغيير ملامحهم؛ للإفلات من قبضة العدالة والتمويه على السلطات الشرطية والقضائية. وربما تقترب منه الدواعي اللاأخلاقية بشكل عام، كما في حالات التدليس والتضليل الذي تمارسه امرأة بحق رجل لغرض إقناعه بالزواج أو العكس.

5- **الدواعي العبثية:** كما في الحالات التي يلجأ فيها البعض إلى إجراء عملية تجميل لمجرد الرغبة في التغيير، وتحت ضغط المزاج وتلوُّنه، وهي حالات تكثر في الأوساط المترفة، والتي تسود فيها مظاهر البطر وهيمنة المعايير المادية الصرفة، كما في أوساط الفنانين.

6- **الدواعي الاقتصادية (التجارية):** وهي دواعي تتصل بالطبيب، إذ قد تدفعه الرغبة في الحصول على المال إلى التسويق لمثل هذه العمليات، ومحاولة التأثير على الآخرين بغية إجرائها رغبة في ذلك.ولا يخفى التأثير السلبي لشيوع مثل هذه الدواعي على الأساسيات المهنية والأخلاقية لمهنة الطب.

مواقف فقهية من عمليات التجميل :

تتشكل المواقف الفقهية في هذا المجال على ضوء مقاصد الشرع وحسب الأهداف المرجوة والنتائج المتوصل إليها. و قبل التطرق إلى بعض المواقف الفقهية يجدر بنا أن نذكر أهم أنواع جراحة التجميل.

أولا : عمليات التجميل الضرورية، والحاجية :

– العمليات الضرورية: و تنقسم إلى قسمين:

1. عمليات جراحية لعيوب خلقية ولد بها الإنسان مثل انسداد إحدى فتحتي الأنف، وكذلك فتح القناة الخارجية للأذن، وإغلاق شق الحلق، وبناء المثانة بالشرائح العضلية، وفتح انسداد فتحة البول السفلية في الذكر، وانسداد فتحة الشرج، وشذوذ حويضة الكلى والحالب وأورامهما[1].

2. عمليات جراحية لعيوب مكتسبة، مثل عيب ناشئ من مرض يصاب به الإنسان، مثل تغير شكل الأذن نتيجة تآكل غضروف صيوانها بسبب مرض الجذام، أو الزهري، أو السرطان[2]، ومثل حالات التصاق بسبب الحروق[3].

وهذه عمليات جراحية في واقع الأمر أكثر من كونها تجميلية، فهذه سواءً كانت لسبب خلقي، أو مكتسب سببها ضروري، وهو جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة عيب في الخلقة، أو تشوه، أو تلف، أو نقص، لتوفر الضرورة التي تحفظ بها النفس من الهلكة[4].

[1]– المسائل الطبية المستجدة، محمد النتشة، ص 258 .

[2]– أحكام تجميل النساء، ازدهار مدني، ص 370، وتدخلها الأستاذة ازدهار تحت العيوب الخلقية التي يولد بها الإنسان مع أنها مكتسبة.

[3]– جامع الفتاوى الطبية والأحكام المتعلقة بها، جمع: عبد العزيز بن عبد المحسن، ط1، الرياض: دار القاسم، 1425هـ/ 2004م، ص 236 .

[4]– الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء، محمد منصور، ص 184 .

– العمليات الحاجية:

وهي التي يكون سببها حاجي، وهي جملة من الأسباب والموجبات التي يقصد بها إزالة العيوب والتشوهات، وذلك لتوفر الحاجة التي تلحق بالمكلف ضرراً حسياً، أو معنوياً، ولا تصل إلى حدّ الضرورة[1].

مثل حالات إزالة تشوه الجلد بسبب الآلات القاطعة[2] ،وجراحة الشفة الأرنبية، وعيوب الفكين التي تكون نتيجة مرض، أو حوادث مختلفة، وإعادة الأصابع المبتورة، وجراحة الثدي الكبير لآلام في الثدي والرقبة والأكتاف وصعوبة التنفس، وعلاج الحروق[3]، وكالتشوهات الحادثة بعد الحروب[4].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأطباء يصنفون عمليات هذين القسمين بكونها ضرورية[5] ولا يفرقون بين الضرورة والحاجة التي لا تبلغ مبلغ الضرورة؛ ذلك أنهم ينظرون إليها بدافع الحاجة إلى فعلها، كما أن وصف هذه الجراحة بكونها ضرورية، أو حاجية هو بالنسبة لدواعيها الموجبة لفعلها، ووصفها بالتجميلي هو بالنسبة لآثارها ونتائجها[6].

وقد توصل الباحثون المعاصرون في الفقه الإسلامي في هذه المسألة إلى الاتفاق على جواز هذا النوع من العمليات الجراحية، ومشروعيتها، للأسباب التالية:

[1]– الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء، محمد منصور، ص 184 .

[2]– جامع الفتاوى الطبية، عبد العزيز عبد المحسن، ص 263.

[3]– المسائل الطبية المستجدة، النتشة، ص 259.

[4]– أحكام تجميل النساء، إزدهار مدني، ص 370 .

[5]– محمد رفعت ، العمليات التجميلية، ص 7 .

[6]– الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية، ص 182، 183 .

أولاً: أن العيوب التي تعالجها هذه الجراحات تشتمل على ضرر حسي ومعنوي، وهو موجب للترخيص بفعل الجراحة؛ لأنه يعتبر حاجة فتنزل منزلة الضرورة، ويرخص بفعلها إعمالاً للقاعدة الشرعية: (الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت، أو خاصة)[1].

ثانياً: إن فعل هذا النوع من الجراحة يجوز كما يجوز فعل غيرها من الجراحات المشروعة بجامع الحاجة في كلٍ.

فالجراحة العلاجية وجدت فيها الحاجة المشتملة على ضرر الألم، وهو ضرر حسي، وهذا النوع من الجراحة في كثير من صوره يشتمل على الضرر الحسي والمعنوي[2].

ولا يشكل على القول بجواز فعل هذا النوع من الجراحة ما ثبت في النصوص الشرعية من تغيير خلق الله للأسباب التالية:

– وجود الحاجة الموجبة للتغيير، فيستثنى من نصوص التحريم؛ لأن بعض ما يستدعي إجراءها فيه ألم ككسور الوجه، وبعضه فيه تفويت مصلحة العضو، كما في الأصابع الملتصقة، وكل هذه أضرار توجب الرخصة واستثناء الجراحة من عموم النهي عن تغيير الخلقة.

– هذا النوع من الجراحة لا يشتمل على تغيير الخلقة قصداً؛ إذ أن مقصوده هو إزالة الضرر، وجاء التجميل والتحسين تبعاً.

– هذا النوع من الجراحة ليس تغييراً لخلقة الله، بل العملية تجرى للعودة بالعضو إلى خلقة الله سبحانه وتعالى.

[1]– أنظر الأشباه والنظائر، زين العابدين بن نجيم ، ص 114؛ الأشباه والنظائر، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ ، ص 88 .

[2]– الشنقيطي، الجراحة الطبية، ص 185، 186 .

– إن إزالة التشوهات الناتجة عن الحروق والحوادث تندرج تحت الأصل المجيز لمعالجتها، والمعالجة تكون بمعالجة العضو ومعالجة الأثر الناتج عن الحرق أو الحادث؛ إذ لا يوجد ما يدل على استثناء الأثر من جواز المعالجة. وعليه فلا حرج على الطبيب، ولا على المريض في فعل هذا النوع من الجراحة، والأذن به.

عمليات التجميل التحسينية:

وهي العمليات التي يقصد منها تحسين المظهر، وتجديد الشباب دون وجود دوافع ضرورية، أو حاجية تستلزم فعلها.

وبالنظر في كثير من الكتب التي تناولت هذه القضية نجدها قد سارت على القول بتحريم هذا النوع من العمليات؛ لأنها لا تشتمل على دوافع ضرورية، ولا حاجية، ولأن فيها تغييراً لخلقة الله والعبث بها حسب الأهواء[1].

ويستدلون عليه بالآية التي في سورة النساء من قوله تعالى: **{وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}**[2].

وبالأحاديث المشتملة على علة التغيير في معرض النهي عن النمص، والتفليج، والوشم كحديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلعن المتنمصات، والمتفلجات للحسن، واللآتي يغيرن خلق الله)).[3]

---

[1]– أ. د. رجاء محمد عبد المعبود محمدين، الضوابط القانونية و الأخلاقية لجراحات التجميل.
kenanaonline.com/users/thefreelawyer/posts/419935

[2]– النساء/119 .

[3]– رواه البخاري، كتاب اللباس، باب المتنمصات، 43/4، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، 106/14 .

مشيرين إلى أن الآية وتلك الأحاديث تجمع في علة النهي بين تغيير الخلقة وطلب الحسن، وهما معنيان موجودان في الجراحة التجميلية التحسينية، وعليه تعتبر داخلة في هذا الوعيد الشديد، ولا يجوز فعلها[1].

واللافت للنظر في هذه الدراسات أنها لا تضع بين يدي القارئ ضابطاً لتغيير خلق الله، أو المراد به كما ورد عن العلماء.

كما أنها لا تلفت إلى العلل والأسباب التي جاءت في سياقها الأحاديث، ومن لفت لها أورد ذلك موجزاً جداً، بل إن منهم من جعل ذلك الإيجاز القليل في حاشية دراسته مع أنها قلب الموضوع.

وقبل الانتهاء إلى حكم أخير في المسألة تفرض الدراسة الوقوف على أقوال العلماء في هذه الآية، والأحاديث.

أ– أما الآية الكريمة:

وهي قوله تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116) إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا (117) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (118) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا}.**

[1]– أنظر: أحكام الجراحة الطبية، محمد المختار الشنقيطي، ص 193، 194؛ أحكام جراحة التجميل في الفقة الإسلامي، محمد عثمان شبير، ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1409هـ/1989م، ص 64-66؛ الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء، محمد خالد المنصور،ص 197؛ المسائل الطبية المستجدة، محمد النتشة، ص 274؛ جامع الفتاوى الطبية، عبد العزيز بن عبد المحسن، ص 253.

و قد اختلف العلماء في المراد بتغيير خلق الله:

فقال البعض: هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من شق آذان الأنعام، وإطلاق اسم البحيرة عليها، وتحريمها على أنفسهم، وعلى أهلهم، فالتغيير هو بتغيير دين الله بالتحليل والتحريم من خلال تغيير في خلق هذه الأنعام من شق آذانها.

فهذا فيه تعذيب للحيوان، وتحريم وتحليل بالطغيان، والآذان في الأنعام جمال ومنفعة؛ لذلك رأى الشيطان أن يغير بها خلق الله تعالى، ويركب على ذلك التغيير الكفر به؛ لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر في الأضحية أن تستشرف عينها وآذانها لئلا تكون مقطوعة، أو مشقوقة، فتجتنب من جهة أن فيها أثر الشيطان[1].

وقال آخرون: المراد به خصاء البهائم؛ لأنهم كانوا يكرهون خصاء كل شيء له نسل، إلا أنه رخص فيه جماعة من أهل العلم إذا قصدت فيه المنفعة بتطييب لحم الذكر وتقويته إذا انقطع أمله من الأنثى، ولم يقصد به تعليق ذلك الأمر بالدين كتقديمه لصنم يُعبد، ولا لرب يُوحد[2].

أما خصاء الآدمي، فلم يختلفوا أنه لا يحل ولا يجوز؛ لأنه مُثْله وتغيير لخلق الله[3].

واعتبرت طائفة أن المراد بالتغيير لخلق الله هو أن الله تعالى خلق الشمس، والقمر، والأحجار، والنار، وغيرها من المخلوقات ليعتبر بها، وينتفع بها، فغيرها الكفار بأن جعلوها آلهة معبودة.

[1]- أنظر:أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق: على محمد البجاوي، ط: بدون، بيروت: دار الفكر، ت: بدون، 500/1؛ أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص، ط: بدون، بيروت: دار الكتاب العربي، ت: بدون، 282/2.

[2]- أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط: بدون، م: ن: بدون، ت: بدون، 390/5.

[3]- المصدر نفسه، 391/5 .

قال الزجاج:[1] "إن الله تعالى خلق الأنعام لتركب وتؤكل فحرموها على أنفسهم، وجعل الشمس، والقمر، والحجارة مسخرة للناس فجعلوها آلهة يعبدونها، فقد غيروا ما خلق الله"[2].

فيكون معنى التغيير الوارد في الآية الكريمة مختص بما كان يفعله أهل الجاهلية من تغيير في دين الله عز وجل بالتحليل، والتحريم.

وعليه لا يمكن استخلاص حكم العمليات الجراحية التجميلية من هذه الآية؛ لأن المراد بالتغيير الوارد فيها غير التغيير الذي يحدث بمثل تلك العمليات، فلا تكون أحد شواهد المسألة.

ب. فيما يخص السنة النبوية:

يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يخرج للقاء أصحابه حتى ينظر في ركوةٍ[3] فيها ماء في الدار، ويسوي من لحيته وشعره مما يثير عجب السيدة عائشة رضي الله عنها، فيدفعها ذلك العجب لسؤاله: وأنت تفعل هذا؟ فيجيب: ((نعم، إذا خرج الرجل إلى إخوانه فليهيئ من نفسه ، فإن الله جميل يحب الجمال))[4].

وكان لا تفارقه المرآة والسواك في السفر والحضر[5].

وكان يلبس اللباس الحسن، ويتجمل لأهله وأصحابه، ويرى في ذلك إظهاراً لنعم الله عليه، فيقول: ((إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده))[6].

---

[1]- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، النحوي، اللغوي، المفسر، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، توفي سنة (311هـ). (أنظر: معجم المؤلفين، رضا كحالة، 33/1).

[2]- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 394/5 .

[3]- الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء.

[4]- أدب الإملاء والاستملاء، عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، ط1، دار الكتب العلمية، ت: بدون، تحقيق: ماكس فايسفايلر، 32/1؛ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي الترمذي، 13/4؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، 389/1 .

[5]- نوادر الأصول، 13/4.

[6]-رواه الترمذي، 123/5 (2819)، وأحمد بن حنبل، 311/2 (8092)، 438/4 (10048).

ويروى عنه صلى الله عليه وسلم: ((أنه كان يكره أن يرى المرأة ليس بيدها أثر الحناء، والخضاب))[1].

وتدخل عليه امرأة، فيقول لها: ((اختضبي، تترك إحداكن الخضاب حتى تكون يدها كيد رجل))، تقول تلك المرأة ((فما تركت الخضاب حتى لقيت الله))[2].

ولعل عدم المجافاة والمنافاة بين طلب الحسن ومبادئ الشريعة الإسلامية ما حدا بكثير من العلماء أن يغوصوا وراء علل الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله الواشمات، والمستوشمات[3]، والمتنمصات[4]، والمتفلجات[5] للحسن، المغيرات خلق الله))[6]

و ذلك لتبرير النهي عن هذا النوع من الحسن، كما حدا بكثيرٍ منهم من الذين يُعتد بقولهم إلى القول بجواز فعل الأمور المنهي عنها في الحديث متى كان بإذن الزوج، لانتقاء علة التدليس، يقول ابن حجر[7]: إطلاقه مقيد بإذن الزوج وعلمه، وإلاَّ فمتى خلا عن ذلك منع للتدليس[8] .

[1]- رواه البيهقي في السنن الكبرى، 311/7 (14607) .

[2]- رواه أحمد، 70/4 (16701)، 381/5 (23283)، 437/6 (27504) .

[3]- الواشمة: فاعلة الوشم، وهي التي تغرز إبرة، أو نحوها في ظهر الكف، أو المعصم، أو الشفة، أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل، أو النورة، فيخضر ، والمفعول بها موشومة، فإن طلبت فعل ذلك بها، فهي مستوشمة. (انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ط: بدون، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، 106/14).

[4]- النامصة: من النمص، وهو نتف الشعر من الوجه، ومنه قيل للمنقاش: منماص، فالنماصة التي تفعل ذلك، والمتنمصة التي يُفعل بها ذلك. (انظر: شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: زهير الشاوش، شعيب ارناؤوط،ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ/1983م، 105/12).

[5]- المتفلجة: التي تبرد ما بين أسنانها الثنايا،والرباعيات.

[6]- سبق تخرجه، ص 21 .

[7]- أبو الفضل، أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري المولد، والنشأة ، والدار، والوفاة، والفقيه الشافعي، والمحدِّث ، والمؤرخ، والأديب، والشاعر، توفى سنة (582هـ).

[8]- فتح الباري، 378/10 .

وتجدر الإشارة هنا والتنبيه على أن التعرض لقضية الوشم، والنمص، والتفليج ليس مقصوداً لذاته، وإنما للوقوف على العلة وراءه حتى يمكن وضع ضابط للتغيير الذي يصلح علة في تحريم أنواع من الحسن دون أخرى مما يوصل إلى حكم هذه العمليات التحسينية، وغير ذلك من أنواع التغيير بالتحسين.

وانطلاقاً مما سبق يمكن القول بأن التحسين المحرم يتلخص في الآتي:

ما كان مسهلاً وموصلاً إلى الفجور والحرام، كما هو ملاحظ في إنكباب الكثير من فنانات الطرب والتمثيل على عمليات التجميل لعرض أجسادهن في قالب يخلب الأنظار، أو في لجوء غيرهن إليها ليكن أكثر فتنة وإغواءً، أو في تشبه النساء بالرجال أو العكس ، أو التشبه بأهل الكفر والفجور والمعاصي[1].

ما كان أحبولة للغش والخداع، كالذي تفعله أو يفعله من يقصد التدليس في حق من لو عرف به لما أرتضاه[2].

ما كان يترتب عليه ضررُ يربو على المصلحة المرتجاة منه، مما يجعل ذلك التغيير ما هو إلا تحسين في الحال أذى في المآل، وهذا يقرره أهل الاختصاص الثقات.

ويندرج تحت هذا الضابط الإسراف في اللجوء إلى العمليات التجميلية مما يخرج بها إلى دائرة العبث والتلاعب حسب الأهواء.

وهذا يوجب على الأطباء الالتزام بتقوى الله تعالى فلا ينساقوا وراء إجرائها لمجرد الكسب المادي، ولا يلجأوا إلى الدعايات التسويقية المخالفة للحقائق[3].

---

[1]- انظر: البيان الختامي لمؤتمر العمليات التجميلية بين الشرع والطب المنعقد في الرياض بتاريخ: 1427/11/11هـ في موقع المسلم، بإشراف: د/ ناصر العمر، ص 2 .

[2]- يدخل فيه رتق البكارة الذي تمزق بسبب ارتكاب الفاحشة سداً لذريعة الفساد والتدليس. (أنظر: مسئولية الأطباء عن العمليات التعويضية والتجميلية والرتق العذري في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، محمود الزيني، ص 138-140).

[3]- أنظر: المسؤولية الطبية ، محمد حسين منصور، ص 236، 237 .

كما يتطلب تبصير من تكون حاجتهم إلى تلك العمليات لدوافع نفسية يمكن معالجتها باللجوء إلى طبيب نفسي دون الحاجة إلى إجراء العملية الجراحية.

وعليه فإن هذه العمليات متى خلت من أحد هذه الأمور لا تحرم عملاً بالقاعدة الشرعية التي تقول: "الحكم يدور مع العلة وجوداً وعدماً فإذا انتفت العلة انتفى المعلول".

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الضوابط هي ضوابط خاصة بهذا النوع من العمليات الجراحية فلا يُغفل إلى جانبها توفر الضوابط العامة للعمليات الجراحية حتى يمكن القول بجواز إجرائها ، وتلك الضوابط هي:

– أن يقوم بإجرائها طبيب (أو طبيبة) مختص ومؤهل.

– أن يلتزم الطبيب المختص بالتبصير الواعي لمن سيجري العملية بالأخطار والمضاعفات المتوقعة والمحتملة من جراء القيام بها[1].

– أن تراعى فيها قواعد التداوي من حيث الالتزام بعدم الخلوة الشرعية، وأحكام كشف العورات إلا لضرورة أو حاجة داعية[2].

[1]- أنظر: مسؤولية الطبيب المهنية، عبد الله سالم الغامدي، ص 326؛ المسؤولية الطبية، محمد حسين منصور، ص 237؛ قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثامنة، ص 31 . .

[2]- أنظر: أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، الشنقيطي، ص 149 وما بعدها؛ الضوابط الشرعية لعمليات التجميل والإصلاح وعمليات نقل الوجه، عصام محمد سليمان موسى، ص 39، 40 .

مشروعية عمليات التجميل في القانون الوضعي:

لا يختلف فقهاء القانون والشريعة في مشروعية العمل الجراحي التجميلي لترميم أعضاء الجسم البشري أو إزالة التشوّهات عنه، ولكنهم يختلفون حول ما إذا كان يُعدُّ مريضاً الشخص الذي يرغب في إجراء عمل جراحي تجميلي لمجرد تحسين أنفه أو أي عضوٍ آخر بما ينسجم مع معايير الحسن والجمال السائدة. ولذلك يبدو لأول وهلة أن جراحة التجميل غير جائزة إطلاقاً؛لأن الغرض منها ليس علاج مرض بل مجرد التجميل، وهو ما يتصل بالشرط الأساسي لإجازة العمل الطبي، والذي يكون القصد منه الشفاء من المرض. بل حدث الجدل حول ما إذا كان يمكن اعتبار مريض التجميل مريضاً عضوياً أم مريضاً نفسياً، ومدى تأثير زيادة الاهتمام بالشكل على الصحة النفسية، وما ضرورة استشارة طبيب نفسي قبل إجراء أي جراحة تجميلية. ولذلك فقد اعتبر "أن الأعمال الطبية التجميلية ذات صلة وثيقة بعلم النفس، إذ إن كثيراً من الأمراض النفسية؛ كالكآبة والانطواء والقنوط والشعور بالحزن والإحباط والعزلة الاجتماعية وغيرها يعود سببها إلى قبح الشكل.

و يفترض في المريض توفر الشروط العامة التي تبرّر إجراء عملية جراحية له، وربما تشدَّدت بعض الدول في بعض الحالات حيث قدَّم (فورس ليما) رئيس وزراء مقاطعة (نيوساوث ويلز) الأسترالية عدة قوانين بصدد العمليات الجراحية التي تُجرى للمراهقين، بعد تزايد أعدادهم لطلب إجراء مثل هذه العمليات، حيث يشترط إحالة من طبيب إلى الجراح التجميلي قبل أية عملية جراحية يمكن أن تجرى، مع شرط موافقة الوالدين، على أن يكون للمراهق الذي يرغب بمثل هذه العمليات شهر للتفكير وإعادة النظر في إجرائها، بل إن جرّاحي الجمعية الأسترالية للجراحة التجميلية يفيدون أن معظم الأطباء المحترمين وحسني السمعة لن يقوموا بإجراء جراحات تجميلية للمراهقين عدا تجميل الأذن والأنف.

موقف التشريعات في الدول المختلفة من الجراحات التجميلية:

أتخذ القضاء في بداية الأمر موقفاً عدائياً من جراحة التجميل، فاعتبر أن مجرد الإقدام على علاج لا يقصد به إلا تجميل الشخص يعد خطأ في ذاته يتحمل الطبيب بسببه كل الأضرار التي تنشأ عن العلاج، حتى لو أجرى ذلك طبقاً لقواعد العلم والفن الصحيحين. إذا ليس هناك ما يبرر إجراء جراحة تنطوي على قدر من الخطورة لمجرد إصلاح شكل الإنسان دون أن تكون هناك ضرورة تستدعى شفاءه من مرض أو فائدة تعود على صحته. ولكن إحراز التقدم العلمي وتطور الفكر الإنساني ورغبة الإنسان الدائبة في البحث عن الأفضل حدا بالقضاء إلى تغيير موقفه وإخضاع جراحة التجميل لنفس المبادئ العامة في المسئولية التي تخضع لها العمليات الجراحية بوجه عام، إلا أنه نظراً للطبيعة الخاصة لجراحة التجميل فإن القضاء قد تشدد بصدد المسئولية الطبية في هذا المجال.

وقد ذهب جانب من الفقه إلى إباحة جراحة التجميل وذلك بتحفظ شديد، فميز بين نوعين من تلك الجراحة:

النوع الأول: حالات يكون التشويه لدرجة تصبح معها الحياة عبئاً قد يدفعه إلى التخلص منها، فهذا التشوه قد يرقى إلى مقام العلة المرضية، فتنزك في نفس مستوى الجراحة العادية فتكون حرية الطبيب واسعة في اختيار وسائل العلاج التي يراها مناسبة.

والنوع الثاني: تلك الحالات التي يكون الغرض من التدخل الجراحي فيها مجرد إصلاح ما أفسده الدهر من جمال يحاول التشبث بالبقاء ضد إرادة الزمن وحكم الطبيعة، فلا يكون تدخل الطبيب مبرراً إلا إذا كانت وسيلته في إزالة التشويه الجسماني لا تنطوي . بحسب السير الطبيعي للأمور . على خطر ما على حياة المريض وسلامة جسمه.

و يختلف الموقف القانوني من العمل الجراحي التجميلي من نظام إلى آخر، فضلاً عن التطور الذي لحق هذه المواقف؛ إذ اتخذت عدة صيغ من زمن لآخر.

ففي ألمانيا تعتبر جراحة التجميل جائزة على نحوٍ مطلق، وذلك على اعتبار أنها تنطوي تحت الأنظمة التي وضعتها الدولة فيما يتعلق بالصحة واستعادتها. وفى إنجلترا تعد جراحة التجميل جائزة أخذاً بالمبدأ المعتمد لديهم من أن رضاء المجني عليه يبرر كل فعل ما لم يكن محرماً قانوناً أو كان يؤدى إلى خطر شديد . بغير موجب . على الحياة أو الأعضاء أو الصحة.

ويرى الفقه في بلجيكا أباحتها ما لم تمنع من أداء واجب اجتماعي كأن تستأصل الزوجة التي ينتظر حملها ثدييها لتعديل قوامها فتعطل بذلك وظيفة الإرضاع لديها، أو يكون لكسب مادي كأن ينتزع شاب بعض غدده ليلقح بها عجوز لقاء مبلغ من المال.

وهي جائزة في الولايات المتحدة الأمريكية، مع اختلاف المعايير والضوابط التي يجب مراعاتها لإجراء عمل جراحي، إذ تطول قائمة الأنظمة الواجب إتباعها في بعض الولايات.

أما في فرنسا فإن الموقف مختلف، فقد كان القضاء الفرنسي ولفترة ينظر بالسخط والشك إلى جراحة التجميل، وهو إذ يرى كفاية رضا المريض في إعفاء الطبيب من المسؤولية عن الأضرار التي يلحقها العمل الجراحي بالمريض طالما أنه لم يقع منه خطأ في تطبيق قواعد مهنته، فإنه كان يعتبر الطبيب مسئولا عن جميع النتائج الضارة التي تترتب على علاجه ولو لم يصدر منه خطأ طبي. وبذلك يعتبر القضاء الفرنسي أن إقدام الطبيب الجراح على إجراء عملية لا يقصد منها إلاّ التجميل يُعدُّ خطأ في ذاته يتحمل الجراح بسببه كل الأضرار التي تنشأ عن العملية ولو أُجريت طبقاً لقواعد الفن الطبي.

وقد تبدل هذا الموقف فأخضع القضاء الفرنسي جراحات التجميل للقواعد التي تخضع لها الجراحات العلاجية، فاشترط القضاء أولاً أن تكون هناك علة تبرر المساس بحرمة الجسد الإنساني، و ثانياً أن يكون ثمة توازن بين الخطر الذي يتعرض له الشخص و الفائدة المرجوة من العمل الطبي التجميلي، ومع ذلك فإن المحاكم الفرنسية تتشدد في تقديرها لخطأ الجراح في عمليات التجميل واشتراط أن يستخدم طريقة علاجية اتفق عليها و ليست محلاً للتجارب. بل إن بعض المحاكم ذهبت إلى حد استخدام لغة تقترب من إلزام الطبيب بتحقيق نتيجة.

وأما الموقف القانوني العربي؛ فهو وإن لم يكن مواكباً للمستجدات الحياتية . ومنها الموقف من عمليات التجميل الجراحية . بدرجة تتناسب مع تطور هذه العمليات وشيوعها، فإن الفقه والقضاء ينظران إليها كحالة من حالات العمل الجراحي العام الذي يبرره القانون بالشروط التي أُلزم بمراعاتها. وعندئذٍ تدخل تحت أسباب الإباحة كونها واحدة من الأعمال الطبية، والتي رخّص فيها القانون للأطباء . طبقاً للقواعد العامة . إجراءها بشروط منصوص عليها.

وفى مصر ذهب غالبية الفقهاء إلى مشروعيتها؛ وذلك اقتناعاً منهم بأن النظرة المترددة التي نظر بها لجراحة التجميل تمييزاً عن الجراحة العلاجية، إنما مرجعها لنفس التردد الذي كان ينظر به الناس إلى الجراحة . على وجه العموم . تمييزاً لها عن الطب، وكما تغيرت نظرة الناس للجراحة، فقد كان طبيعياً أن تتغير نظرتهم إلى الجراحة التجميلية كذلك، ولذا فالرأي المعول عليه أن جراحة التجميل تخضع للقواعد العامة التي تخضع لها الجراحة العلاجية مع وجوب توافر شروطها، وهو تناسب بين الخطر والفائدة للمريض وأن يكون هناك علة تبرر المساس بحرمة الجسم البشرى ومن ثم فهذه العمليات مشروعة ولا يترتب على القيام بها سوى مسئولية غير عمدية إذا أخطأ الطبيب أو الجراح في مباشرتها.

التكييف القانوني للعمل التجميلي:

يمكن إجمال الآراء والنظريات في تباين الموقف القانوني تجاه العمليات الجراحية التجميلية في الاتجاهات الرئيسة الآتية:

– **الاتجاه الأول**: وهو اتجاه يميل إلى أن عمليات التجميل غير مشروعة؛ كونها لا يقصد منها الشفاء من مرض؛ لأن الغرض منها مجرد التجميل.

– **الاتجاه الثاني**: وهو يميل إلى التوسع في إباحة العمل الجراحي التجميلي، وذلك ليكونه مشمولاً بمفهوم العلاج، كونه يشمل الناحية النفسية كما يشمل الناحية الجسدية للجسم البشري، وبذلك تشرع العمليات التجميلية كونها تجرى بغرض الشفاء.

– **الاتجاه الثالث**: وهو اتجاه يرتكز على تقدير الأضرار التي تلحق الجسم البشري جرّاء القيام بهذه العمليات.

الفصل الرابع

مقاربة تحليلية لبض الحالات

1. تمهيد

الإنفجار الإعلامي، وتطور وسائل الطب، وانتشار مراكز التجميل، فتحت المجال أمام الراغبات بالوصول إلى الشكل المثالي بخوض تجارب الشفط والنفخ والتكبير والتصغير والتقويم، وكل أنواع التغييرات على أجسامهن، فبات الطلب على العمليات التجميلية يعرف إقبالاً كبيراً، إلى درجة أصبح بعض النساء يتشابهن في الأنوف، وفي شكل الشفتين. ودفع هاجس التجميل بعضهن للخضوع لمشرط التجميل طلباً للمثالية، منهن من تريد إرضاء الذات، ومنهن من تسعى خلف نزعات زوجها، ومنهن من المراهقات من تحاكي الممثلات والمطربات في شكلهن الخارجي، دون مراعاة الحاجة إلى ذلك، أو أن المضاعفات قد تترك آثاراً نفسية وجسدية. بذلك تغيرت مفاهيم الجمال وأفرغت من محتواها عند البعض، فبات التركيز على مفاتن الجسد أكثر من التركيز على شخصية المرأة وثقافتها وخلفيتها المعرفية، والجمال الذي يكمن في الاختلاف والتنوع.

2. دراسة حالات

الخلاصة التي توصلنا إليها من خلال الحوارات التي أجريت مع الحالات الاربعة قبل الإقدام على عمليات التجميل لحضنا وجود اكتئاب عند كل الحالات من خلال المظهر و نبرة الصوت المنخفضة و الرغبة في تقليص وقت المقابلة.

يوجد صراع بين الميولات الداخلية و الواقع المعاش. أما العواطف فقد تراوحت ما بين عواطف خافتة و مكبوتة الى درجة الخنق عند بعض الحالات و انخفاض بعض الاجابات الحسية يؤكد الرقابة على العواطف.

أما فيما يخص اختلال تصور الذات فقد تجلى من خلال رفض الحالات لصورتهن الجسدية بل لدواتهن من خلال تعبيرهن عن معاشهن الجسدي الاليم وهن يربطن قيمتهن الذاتية بمظهرهن

الخارجي. و قد لحضنا وجود استثمار مفرط للجسم كنوع من التعويض و ذلك من تعبيراتهن ويضهر عدم الرضا عن الصورة الجسدية .

كما أن غالبية الحالات إن لم نقل جميعهن يرغبن بإجراء عمليات جراحية لأجزاء أخرى من أجسامهن وهذا دليل على وجود خلل في تصور الذات .

أما صعوبات التكيف مع الواقع الخارجي فقد تجلت من خلال تعبيراتهن عن مدى تأثير معاشهن الجسدي الاليم على علاقتهن الاجتماعية .فهن يتعاملن مع العالم الخارجي من منطلق النقص وعدم الثقة و بالتالي يصبح مشروع جراحة التجميل بمثابة المخلص من هذا العبء الكبير و يكون سببا في إعادة التوازن بما يؤثر إيجابا على العلاقات الاجتماعية. أما الحالات اللاتي تم متابعتها بعد إجراء عمليات التجميل فقد كانت

محاولتهن هذه فاشلة بدليل بقاء حالة الاكتئاب و اختلال في تصور الذات وصعوبة التكيف مع الواقع الخارجي وأيضا بدليل رغبتهن في إجراء عمليات أخرى.

و على أساس هذه المعطيات التي تم تكشفها من خلال المقابلات لحالات من النساء المقبلات على العمليات التجميلية أن اللجوء إلى هذه العمليات لم يكن بدافع الرغبة في تصليح أو ترميم تشوه أو إصلاح ما يؤثر سلبا على جمال المرأة بل إن المبررات المقدمة من قبل اغلب الحالات ارتبطت بعوامل متداخلة نفسية و اجتماعية و ثقافية. كما تلعب الصورة النمطية للجمال ومفهومه الاجتماعي و الثقافي دورا مهما في إعطاء مبرر و دافع لبعض الحالات و يمكن القول كذلك ان اللجوء إلى مثل هذه العمليات يرتبط بالعامل الاقتصادي الاجتماعي، فالمكانة الاقتصادية الاجتماعية تعد عاملا محددا في هذا الموضوع لما تتطلبه هذه العمليات من إمكانيات مادية.

و يجب الالتفات إلى الدور المهم الذي تلعبه وسائل الإعلام و الاتصال في تعاطيها مع موضوعة الجسد فإنها تعطي الأولوية لذوق الجمال مؤخرة أو متجاهلة الدوافع الأخلاقية في ذالك،

فنجدها مثلا تعرض النجومية،لا بمعنى النجم الفرد، وإنما بمعنى النجم الجسد، أي المواصفات الفنية والثقافية والشكلية لدور يمثله النجم، حسب قدرة جسده في تمثيل الصفات وتمثلها، حتى إذا تراجعت قدرات النجم الجسدية والشكلية، تمت إزاحته ليحل محله جسد آخر، كما هو شائع لدى الفنانات في الإعلانات والمذيعات والممثلات وعروض الأزياء.. فهي تنطلق في عرض الجسد من خلال إبراز جماله، الذي يشترك في صناعته مئات مؤسسات تصميم الأزياء والعارضات وشركات مستحضرات التجميل، وموديلات حلاقة الشعر وتسريحاته...

يقول مالك بن نبي :"لا يمكن لصورة قبيحة أن توحي بالخيال الجميل فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالا أقبح والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه"[1]. والأسئلة الكثيرة التي تفرض نفسها هنا هي؛ هل صورة الجسد العاري الذي تعرضه وسائل الإعلام بسبب الدافع الجمالي، هي فعلا صورة جميلة أم إنها صورة مشبعة بالقبح؟ وهل صورة الجسد المنتحر، وصورة الجسد المقتول، وصورة الجسد الخائن... صور جميلة أم قبيحة؟ لا شك أن المشاهد الغربي يتلقى كل ذلك في جو من الحساسية الجمالية، فتجده متفاعلا معها في تلك اللحظة معتبرا ذلك تصويرا رائعا وجميلا، فالمخرج ناجح، والسيناريو جيد، والقصة رائعة، وكذلك الممثلون.. بينما الأمر قد يكون مختلفا إلى حد ما بالنسبة للمشاهد العربي، الذي يتلقى هذه الصور في جو من الحساسية الأخلاقية، فهو يرى عاريا أو عارية، ومنتحرا، ومقتولا، وخائنا، ولهذا تجد الفرد عندنا مثلا يشعر بالقلق وعدم الراحة وهو يشاهد التلفزيون مع أفراد العائلة والأقرباء، مدركا بذلك قبح الصور التي تعرض والتي لا تليق بثقافة وقيم العائلة، وفي مقابل ذلك أيضا تجد الفرد بنفس الأحاسيس يشعر بالقلق وعدم الراحة وهو يتجول في الشارع مع أفراد عائلته..؛لأن الجسد الذي

[1]- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، 1971،ص79.

نشاهده في واقعنا الاجتماعي يسعى إلى التشبه بصورة الجسد المعروضة في وسائل الإعلام، ونخلص إلى القول:بأن الجسد الواحد قد يختلف تأثيره في المجتمع باختلاف صورته التي تنطق.

الخاتمة

الخاتمة

إن سؤال الجسد ينفتح على حقول معرفية مختلفة من طب و فلسفة و انتروبولوجيا و علم اجتماع وعلم نفس... وشكل الجسد في مختلف الثقافات تمثلات تتحكم فيها ثقافات الشعوب المختلفة، كما أن كل المجتمعات تختزن مفاهيم و تصورات فلسفية عن موضوعة الجسد.

و لقد أجمعت الديانات والكتب المقدسة، والفلسفات الجمالية، بأن الإنسان خُلق على أجمل صورة وأحسن تقويم. فجسد الإنسان الحي جسدٌ ناطقٌ وفاعلٌ وجميلٌ بالقياس إلى المخلوقات الحيّة على مختلف أنواعها ، جسدٌ يؤثّر في العالم ، ويتأثّر به ، بفعل الأعضاء والحواس والقدرات العقليّة والنّفسيّة والمواهب الطّبيعيّة الموجودة فيه . من هنا اعتبر الإنسان رأس المخلوقات وسيّدها جميعاً، بوصفه ذا قدرةٍ وسلطةٍ فاعلةٍ على نفسه وعلى الأشياء من حوله.

إن الوجود وما يتعلق به يمثل حالة نسبية، فمفهوم الحسن والقبح يقع أيضا في دائرة النسبي في هذا المجال. فما يكون حسناً عند شعب أو جماعة بشرية ما، قد نراه قبيحاً في غيرها، وهنا يجب أن نلاحظ أن ثمة معايير عامة في تحديد وتبيان الحسن والقبح تنطبق على الجميع، وثمة معايير خاصة تنطلق من الرؤية البيئية لكل حال وزمان ومكان. لا يوجد نموذج أوحد للجمال؛ فالجمال ليس سلعة وليس ذوقًا استهلاكيًا ليتم إخضاعه لقوانين العولمة؛ فالمقاييس الجمالية متغيرة ومختلفة بتغير المجتمعات والثقافات والمناخات و الأزمنة.

وقد تنبه كثيرون و منذ زمن بعيد إلى فكرة تنوع الجمالات، والتفت بعض أطباء التجميل في عصرنا إلى أن التناسق هو سر الجمال الجسدي و أن أي عملية تجميل لا تحافظ على هذا التناسق ولا تحترم الملامح الخاصة لشخص قد تؤدي إلى نتائج غير مرضية. ورغم أن التناغم من أهم سمات الجمال، فإننا نجد كثيرًا من النساء يلهثن وراء ما لا يناسبهن من ألوان للعيون وللشعر و في كثير من الأحيان بدون مبرر موضوعي؛ باعتباره سمت الحسن الوحيد، ويرهقن أنفسهن بما لا يقدرن

الخاتمة

عليه من أساليب شديدة من الجراحة التجميلية أو تقنيات الحمية لبلوغ المرتجى مما قد يؤدي إلى نتائج غير مرضية و أحيانا إلى مضاعفات خطيرة .

لقد تطرقنا في هذه الأطروحة إلى مفهومي الجسد و الجمال من وجهات مختلفة: فلسفة، علم اجتماع، انتربولوجيا و علم النفس و أيضا من وجهة نضر ثقافية. ثم تناولنا بالشرح و التحليل الجراحة التجميلية و مضامينها الطبية و التشريعية وانتهينا بوصف حالات نساء لجئن لجراحة التجميل و عرضنا النتائج التي خلصنا إليها و التي تتوافق و الفرضية التي اعتمدناها في بداية هذه الدراسة و التي تتمثل في أن اغلب النساء اللائي يلجئن لعمليات التجميل يكون بدوافع نفسية، ثقافية و اجتماعية أكثر منه ضرورة موضوعية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر و المراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

أ- القرآن الكريم

ب- الكتب:

- إبراهيم (الزهرة)، الأنتروبولوجيا والأنتروبولوجيا الثقافية، وجوه الجسد، مرجع سابق.
- إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، النحوي، اللغوي، المفسر، أقدم أصحاب المبرد قراءة عليه، توفي سنة (311هـ). (أنظر: معجم المؤلفين، رضا كحالة، 33/1).
- أبو الفضل، أحمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصري المولد، والنشأة، والدار، والوفاة، والفقيه الشافعي، والمحدِّث ، والمؤرخ، والأديب، والشاعر، توفى سنة (582هـ).
- أبو بكر أحمد بن على الرازي الجصاص، أحكام القرآن، ط: بدون، بيروت: دار الكتاب العربي، ت: بدون، 282/2.
- أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: على محمد البجاوي، ط: بدون، بيروت: دار الفكر، ت: بدون، 500/1.
- أبو عبد الله محمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط: بدون، م: ن: بدون، ت: بدون، 390/5.
- ازدهار مدني، أحكام تجميل النساء، وتدخلها الأستاذة ازدهار تحت العيوب الخلقية التي يولد بها الإنسان مع أنها مكتسبة.
- بدوي عبد الرحمان، الفلسفة القورينائية أو مذهب اللذة، ط 1، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي.
- بيصار محمد، الفلسفة اليونانية، دار الكتاب بيروت ط 1، سنة 1993.

- جلال الدين سعيد، فلسفة الجسد، دار أمية للنشر، ط2، 1993.
- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، تحقيق: زهير الشاوش، شعيب ارناؤوط،ط2، بيروت: المكتب الإسلامي، 1403هـ/1983م، 105/12).
- حفنأوي بعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، 2007.
- د. سزنكوكويشيل جير بر، م، ترجمة : مركز التعريب و البرمجة ، 2006 .
- دافيد برتون، انتربولوجيا الجسد والحداثة، 1997.
- رواه البخاري، كتاب اللباس، باب المتنمصات، 43/4، ومسلم، كتاب اللباس، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة، 106/14 .
- ريجيس دوبري، حياة الصورة وموتها.
- زيدان محمود فهمي، في النفس والجسد، بحث في الفلسفة المعاصرة، دار النهضة بيروت، 1980.
- زين العابدين بن نجيم ، الأشباه والنظائر، ص 114؛ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،الأشباه والنظائر، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1403هـ.
- سعيد بنكراد: سيميائيات الصورة الإشهارية، الإشهار والتمثلات الثقافية، 2006.
- صحيح مسلم بشرح النووي، ط: بدون، بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، 106/14).
- عبد الرحمان عزي، الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الإعلامية الاتصالية،بعض الأبعاد الحضارية، 1995.
- عبد العزيز بن عبد المحسن، جامع الفتاوى الطبية والأحكام المتعلقة بها، ط1، الرياض: دار القاسم، 1425هـ/ 2004م.

- عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، ط1، دار الكتب العلمية، ت: بدون، تحقيق: ماكس فايسفايلر، 32/1.
- عبد الله سالم الغامدي، مسؤولية الطبيب المهنية.
- عصام محمد سليمان موسى، الضوابط الشرعية لعمليات التجميل والإصلاح وعمليات نقل الوجه.
- فتح الباري، 378/10 .
- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 394/5 .
- كفافي، 1995.
- لوبروتون دافيد، أنتربولوجيا الجسد والحداثة، ترجمة محمد عرب صاصيلا، دار النشر مجد المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2 ،1997.
- مالك بن نبي، شروط النهضة.
- مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، 1971.
- محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها.
- محمد النتشة، المسائل الطبية المستجدة.
- محمد بن علي الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، 13/4؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، 389/1 .
- محمد حسين منصور، المسؤولية الطبية.
- محمد خالد المنصور، الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء.
- محمد رفعت ، العمليات التجميلية.
- محمد عثمان شبير، أحكام جراحة التجميل في الفقة الإسلامي،ط1، الكويت، مكتبة الفلاح، 1409هـ/1989م.

- محمد منصور، الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء .
- محمود الزيني، مسئولية الأطباء عن العمليات التعويضية والتجميلية والرتق العذري في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.
- ممدوح محمد منصور، العولمة، دراسة في المفهوم والظاهرة والأبعاد، 2003.
- الموسوعة الطبية الحديثة، 454/3 .

ت- المجلات و المقالات:

- البيان الختامي لمؤتمر العمليات التجميلية بين الشرع والطب المنعقد في الرياض بتاريخ: 1427/11/11هـ في موقع المسلم، بإشراف: د/ ناصر العمر، ص 2 .
- عز العرب لحكيم بناني، لجسم والجسد والهوية الذاتية، مجلة عالم الفكر، عدد **4**، مجلة **37**، أبريل يونيو **2009**.
- العلوي هشام، الجسد بين الشرق والغرب نماذج وتصورات، منشورات الزمن العدد 44، 2004.
- قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثامنة، ص 31.
- المسائل الطبية المستجدة في ضوء الشريعة الإسلامية، محمد النتشة، ط1، بريطانيا: مجلة الحكمة، 1422هـ/2001م.

ث- المواقع الإلترونية:

- الجسد كموضوع سوسيولوجي، khalid_sociologie.blogspot.com .
- http://www.almokhtasar.com/node/9920
- أ. د. رجاء محمد عبد المعبود محمدين، الضوابط القانونية و الأخلاقية لجراحات التجميل. kenanaonline.com/users/thefreelawyer/posts/419935

- حسني إبراهيم عبد العظيم، تطور الانشغال السوسيولوجي بالجسد .socio.montadarabi.com
- سيد الوكيل، ثقافة الجسد، 2008، .saidelwakil.maktoobblog.com
- كرس شلنج، ترجمة: منى البحر و نجيب الحصادي، الجسد و النظرية الإجتماعية، afaitouri.maktoobblog.com
- كرس شلنج، ترجمة: منى البحر و نجيب الحصادي، الجسد و النظرية الإجتماعية، .afaitouri.maktoobblog.com
- كريم اسكلا، الطقوس الجديدة للأجساد بالمجتمع المغربي، www.isskela.on.ma

2- المراجع باللغة الفرنسية:

3- - **Alexandre. F.** La médecine psychosomatique, paris, Ed : petite bibliothèque, 1962.

4- - **Anzieu. D**. Le moi peau, paris, Dunod, 1995.

5- - **Bruchon Schweitzer. M**. La psychologie du corps, paris, PUF, 1990

6- - **Chabert. C**. La psychopathologie à l'épreuve du rorschach, 1987

7- - **Chentoub. V.** Manuel d'utilisation du T.A.T, Approche psychanalytique, paris Dunod, 1990.

8- - **Dolto. F.** L'image inconsciente du corps, Seuil, paris, 1984.

9- - **Glicenstein. J**. La chirurgie esthétique, paris, Hermann 1994

10- - **Grignon. JL**. La chirurgie esthétique, paris, Edition robert Laffont, 2002.

11- - **Grognard. C**. Ethique et dermatologie, paris, Elsevier SAS, 2002.

12- - **Laffrodo. V**, Faivre. J. La chirurgie esthétique, paris, Maloine SAS éditeur, 1978.

13- - **Lehalle. H**. Psychologie des Adolescents, paris, 1ère édition, 1985

14- - **Marcelli. D**, Braconner. A. Psychologie de l'Adolescent, paris, 1984

15- - **Perron. R**. Les représentation de soi : développements dynamique, conflits, France, Privat, 1991.

16- - **SAMI. A**. Corps réel, Corps imaginaire, paris, Dunaux, 1998.

17- - **Sanglade. A**. Image du corps et image de soi au Rorschach, in techniques projectives II, 1983

18- - **Shilder. P**. Images du corps, paris, Gauimard, 1968.

19- - **Sillamy. N**. Dictionnaire De Psychologie, paris, Masson,1980

20- - **Vladimir. M**. La chirurgie esthétique, paris, Masson ,2002.

21- - **Voyer. P.** Le dialogue corporel, paris, éd : Dunod, 1980.

22- - **Winnicott. DW**. L'enfant et le monde extérieur, paris, Payot, 1972.1980.1990

الفهرس

الفهرس

شكر و تقدير

الإهداء

مقدمة **05**

الفصل الأول: الجسد في الخطاب الفلسفي **11**

تمهيد: **12**

1. الجسد في الخطاب الفلسفي اليوناني **14**

2. الجسد في الخطاب الفلسفي الإسلامي **18**

3. الجسد في خطاب الفلسفة الحديثة **22**

4. الجسد في الخطاب الفلسفي المعاصر **25**

الفصل الثاني: الجسد في خطاب العلوم الاجتماعية و الإنسانية **27**

1. الجسد في الخطاب الأنثروبولوجي **28**

– الإنسان جزء من الكون : هو كون صغير (اخوان الصفا) **29**

2. الجسد في الخطاب السوسيولوجي **33**

3. الجسد في الخطاب التحليلي **37**

– الجسد و الصورة الجسدية **37**

أ.تعريف الجسد **73**

ب.تعريف الصورة الجسدية **38**

ج.الواقع الجسدي و التخطيط الجسدي **40**

د.الصورة الجسدية و مفهوم الذات 41
– الصورة الجسدية و الهوية 41
– التناولات التحليلية للجلد 42
خاتمة..... 44
الفصل الثالث: جراحة التجميل و جوانبها العلمية و التشريعي **54**
1. المضامين العلمية لجراحة التجميل..... **46**
– لمحة تاريخية عن جراحة التجميل **46**
– جراحة التجميل: مفهومها ومجالاتها **47**
– مفهوم الجراحة التجميلية **47**
– الإستشارة قبل عملية التجميل..... 52
– بالنسبة للجراح..... 52
– بالنسبة للمرشحة..... 52
– الموافقة المبلغة 53
– أنواع الجراحات التجميلية و أكثرها رواجا **54**
– جراحة شد الوجه **54**
– الجراحة التجميلية للأنف..... **55**

- جراحة تجميل الثدي..... 55
- جراحة تكبير الثدي 55
- تكبير الثدي من غير جراحة..... 56
- جراحة تصغير الثدي 56
- الجراحة التجميلية للثدي و خطر أمراض السرطان..... 57
- الجراحة التجميلية للبطن 57
- شد البطن..... 57
- مستقبل الجراحة التجميلية..... 58
2. الجراحة التجميلية في الخطاب التشريعي **59**
- مقدمة **59**
- دواعي جراحات التجميل **59**
- مواقف فقهية من عمليات التجميل 61
- أولا : عمليات التجميل الضرورية والحاجية..... 61
- العمليات الضرورية 61
- العمليات الحاجية **62**
- عمليات التجميل التحسينية **64**
أ. الآية الكريمة **65**
ب. السنة النبوية **67**
- مشروعية عمليات التجميل في القانون الوضعي **71**
- موقف التشريعات في الدول المختلفة من الجراحات التجميلية..... **72**

- التكييف القانوني للعمل التجميلي..... **75**

الفصل الرابع: صور الجمال و دراسة الحالات..... **76**

1- تمهيد **77**

2-دراسة حالات **77**

الخاتمة **81**

قائمة المصادر و المراجع..... **84**

الفهرس **91**